الجانب الهدائي في تفسير الإمام محمد الخضر حسين

إعداد

الدكتور: يحي عبد الحي عبد الرحيم عفيفي

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة

جامعة الأزهر فرع طنطا

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾

[الإسراء:٩]

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠- ٧١][1]

أما بعد:

فإن الله -تعالى- نزل القرآن الكريم ليكون هداية للناس ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان:١]، **فليس المقصود من نزوله أن يُقْرأ قراءة مجردة بعيدة عن الإحساس خالية من الشعور، بل المقصود الأسمى والهدف الأسنى، أن يُقْرأ بضمير يقظٍ، وذلك بتدبر ألفاظه وفهم معانيه، فالقرآن عصمتنا، وبه سعادتنا ونجاتنا، وبه قيام ديننا ودنيانا** ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء:٩] ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ

(١) هذه تسمى خطبة الحاجة، أخرجها الدارمي في سننه في كتاب النكاح، باب: ما جاء في خطبة النكاح، (١٩١/٢) الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت. والنسائي في سننه، مزيلة بأحكام الألباني عليها، في كتاب النكاح، باب: ما يستحب من الكلام عند النكاح، وقال الألباني: حديث صحيح، (٨٩/٦) نشر مكتبة المطبوعات الإسلامية.

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص:٢٩]، وأما قراءته دون أن يكون له سلطان علي قلوبنا، وتأثير في حياتنا، فليست هذه هي القراءة المرادة ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [البقرة:٩٧] ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء:١٩٣- ١٩٤]أي: أن الملَك يقرؤه عليه حتى يسمعه منه، فتصل معانيه إلي قلبه بعد سماعه، وذلك هو معنى تنزيله علي قلبه(١)، وكما في قوله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة:١٦- ١٨] قال ابن عباس " فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ " أي: اعمل به(٢)، وللمفسرين في تناولهم للتفسير مناهج ومذاهب مختلفة، فمنهم من يهتم بإبراز الجوانب النحوية والصرفية، ومنهم من يركز علي الاستنباطات الفقهية، ومنهم من يعتني بإظهار الأسرار البلاغية والإعجازية، ومنهم من يغلب علي تفسيره المباحث الكلامية والفلسفية، ومنهم من عُنِيَّ بتجلية الهدايات والإرشادات القرآنية.

والإمام الخضر حسين، يعتبر رائداً من رواد القسم الأخير، والمتأمل في آثار الإمام التفسيرية، يلفت نظره حرص الإمام علي عدم الاسترسال والتوسع فيما لا يفيد المسلم في واقع حياته، وإنما يعنيه في المقام الأول التفسير الذي يرشد الناس إلي ما يسعدهم في الدنيا والآخرة.

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (٤٢/١)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – ١٤١٥ه – ١٩٩٥م.
(٢) زاد المسير في علم التفسير، عبدالرحمن بن علي بن الجوزي (٤٢٢/٨)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤ه.

ومن هنا جاء هذا البحث؛ ليبين أهمية هذا اللون من التفسير لهداية الناس وإرشادهم، وفي نفس الوقت إشادة بقيمة الإمام الخضر حسين، وتشجيعاً للدارسين إلي الاستفادة من كتبه عموماً، وفيما يتعلق بالتفسير خصوصاً.

ويتكون هذا البحث من مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وكل مبحث تحته عدة مطالب.

المبحث الأول: الإمام محمد الخضر حسين حياته ونشأته، وتحته مطالب:

المطلب الأول: مولده ونشأته.

المطلب الثاني: أسفاره ورحلاته، ووظائفه التي تولاها.

المطلب الثالث: مؤلفاته.

المطلب الرابع: أخلاقه وثناء العلماء عليه.

المطلب الخامس: وفاته.

المبحث الثاني: معالم الجانب الهدائي في تفسير الإمام الخضر حسين، وتحته عدة مطالب:

المطلب الأول: نتاجه في التفسير.

المطلب الثاني: معنى الجانب الهدائي وتأصيله.

المطلب الثالث: علاقة الجانب الهدائي بالتفسير.

المطلب الرابع: موقف المفسرين من الجانب الهدائي.

المطلب الخامس: صيغ الخضر حسين عن الجانب الهدائي.

المطلب السادس: وسائل الخضر حسين في الوصول إلي الجانب الهدائي.

المبحث الثالث: موضوعات الجانب الهدائي عند الخضر حسين، وتحته مطالب:

المطلب الأول: العقيدة.

المطلب الثاني: الشريعة.

المطلب الثالث: الأخلاق.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي انتهى إليها البحث.

هذا وقد سرت –بفضل الله تعالى– في هذا البحث علي الأسس العلمية المتعارف عليها، فقمت بعزو الآيات الكريمة إلي مواضعها في المصحف، وخرجت الأحاديث الشريفة من مصادرها محاولاً التركيز علي ما في الصحيحين أو أحدهما، ونسبت الأقوال إلي قائليها، مع الترجمة لمعظم الأعلام الذين ورد ذكرهم في هذا البحث.

وأسأل الله –تعالى– أن ينفع بهذا البحث، وأن يجعله خالصاً لوجهه ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ [هود:٨٨]

المبحث الأول :

الإمام محمد الخضر حسين حياته ونشأته

وتحته مطالب : -

المطلب الأول : مولده ونشأته .

المطلب الثاني : أسفاره ورحلاته ، ووظائفه التي تولاها .

المطلب الثالث : مؤلفاته .

المطلب الرابع : أخلاقه وثناء العلماء عليه .

المطلب الخامس : وفاته .

المطلب الأول: مولده ونشأته.

- **هو محمد الأخضر بن حسين بن علي بن عمر، فهذا اسمه الأصلي، ثم تغير مع مرور الزمن، فأبدل الأخضر بالخضر، رغبة في الاختصار أو تيمناً بالخضر (عليه السلام)[١]، ثم حذفت كلمة (ابن) بعد سفره إلي المشرق العربي تبعاً لمنهج المشارقة في التسمية، فأصبح اسمه: محمد الخضر حسين[٢].**
- **ولد في مدينة نَفْطة بتونس[٣]، في ٢٦ رجب ١٢٩٣هـ- ١٨٧٦م[٤]، وقد كانت هذه المدينة تلقب بالكوفة الصغرى؛ لكونها مقراً للعلم والعلماء[٥]، وقد تأثر الشيخ بهذه البيئة التي يسيطر عليها العلم، يقول: وكان للأدب في هذه البلدة -نَفْطة- نفحات تهب في مجالس علمائها، وكان حولي من أقاربي وغيرهم مَنْ يقول الشعر، فتذوقت طعم الأدب من أول نشأتي[٦].**

---

(١) هو أبو العباس، وهو صاحب موسى النبي (عليه السلام)، واختلف العلماء في حياة الخضر، وفي نبوته، فقيل هو نبي، وقيل هو ولي، وقيل نبي معمر محجوب عن الأبصار، وقيل إنه لا يموت إلا في آخر الزمان.... **ينظر:** بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٧٧/٦)، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.

(٢)**ينظر:** محمد الخضر حسين، حياته وآثاره، لمحمد ابو عداة، الدار الحسينية للكتاب، الطبعة الثانية ١٤١٢ه – ١٩٩٢م، ص٥٨، ومحمد الخضر حسين، سيرته ومؤلفاته، لمحمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة – الرياض، ١٤٣٥ه – ٢٠١٤م، ص ٢٩، ومحمد الخضر حسين وفقه السياسة في الإسلام، لمحمد الجوادي، دار الكلمة للنشر والتوزيع – المنصورة – ٢٠١٤م، ص١٧، ١٨

(٣) وهي مدينة تقع في جنوب تونس، وقد كانت تونس تسمى في القديم بإفريقية، وقد ذكرها ياقوت الحموي بهذا الاسم في معجم البلدان، طبعة دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م (٢٩٦/٥)

(٤) وهذا هو التاريخ الراجح لمولده عند كثير من المترجمين للشيخ. **ينظر:** محمد الخضر حسين، سيرته ومؤلفاته، لمحمد إبراهيم، ص٣٠

(٥)محمد الخضر حسين، حياته وآثاره، لمحمد ابو عداة، ص٢٦

(٦) ديوان خواطر الحياة لمحمد الخضر حسين – القاهرة ١٩٥٣م – ص٦

- **التحاقه بجامع الزيتونة[1]:**

حفظ الشيخ القرآن الكريم في نفطة، وتعلم الأدب وألم بمبادئ العلوم العربية والشرعية، ثم انتقل في سن الثانية عشرة إلي تونس، لمواصلة طلب العلم في جامع الزيتونة[2]، وفي هذا الجامع شمر عن ساعد الجد، لتحصيل العلم، حتى نال شهادة التطويع سنة ١٨٩٨م، وهو في سن الثالثة والعشرين، وفور حصوله علي هذه الشهادة عمل بالتدريس في جامع الزيتونة، علي طريقة نظام المعيدين[3]، وفي هذا الجامع شكلت شخصية الإمام الفكرية، فقد درس علي أعلام الشيوخ في عصره، وتأثر بعدد منهم في تكوينه العلمي ومنهجه الفكري. من أبرزهم: الشيخ سالم بو حاجب[4]، والشيخ محمد النجار[5].

---

(١) في القرن الخامس الهجري أصبح جامع الزيتونة في تونس مركز الإشعاع الفكري ومقصد طلاب العلم والمعرفة، ومن أشهر العلماء الذين تخرجوا منه ابن خلدون، وابن عرفة. ينظر: الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية، لعبد الله الطاهر، ص٢١٩، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس.

(٢)محمد الخضر حسين، حياته وآثاره، ص٣٠

(٣)محمد الخضر حسين وفقه السياسة في الإسلام، ص١٨

(٤) هو سالم بن عمر بو حاجب النبيلي (١٨٢٧ه – ١٩٢٤م) من علماء الزيتونة، ومن الشعراء الملهمين، له ديوان من الشعر الجيد وديوان خطب، ورسائل، وتقريرات علي البخاري، رزق حافظة قوية وذهن وقاد. **ينظر:** ترجمة الشيخ له في مقال تحت عنوان: سالم بو حاجب آية من آيات العبقرية، نشر في مجلة المنار، الجزء السادس من المجلد الخامس والعشرين ص٤٧٥ وما بعدها، جمع هذا المقال مع مقالات أخرى الأستاذ علي الرضا الحسيني ابن أخي الشيخ الخضر حسين في كتاب سماه: تونس وجامع الزيتونة ص١٨٢، طبعة دار النوادر – سوريا – لبنان – الكويت – الطبعة الأولى ١٤٣١ه، ٢٠١٠م

(٥) الشيخ محمد النجار ولد في ١٥ شعبان ١٢٥٥ه، ودخل جامع الزيتونة عام ١٢٧٠ه، ثم تولى منصب الإفتاء عام ١٣١٢ه، وتوفي في رمضان ١٣٣١ه، له مؤلفات من أشهرها: (مجموع الفتاوى) ثمانية مجلدات. ينظر: ترجمة الشيخ له في مقال تحت عنوان: محمد النجار من أفاضل علماء تونس، نشر في مجلة الهداية الإسلامية، الجزء الأول من المجلد الثالث، الصادر في جمادى الثانية ١٣٤٩ه، ينظر: تونس وجامع الزيتونة، لعلي الرضا، ص١٢٠

فيقول الإمام الخضر عن أستاذه الشيخ سالم، مبيناً طريقته في الدرس: كان يجلس لدرس الكتب علي منصة التحقيق، ويخوض عبابها بنظر مستقل، وينطق فيها بلهجة مجتهد نحرير، فلا ينتهي من تقرير موضوع إلا بعد أن يعقد لما يجري فيه من الخلاف محاكمة، يدخل إلي القول الفصل فيها من باب الحرية والإنصاف....، وكثيراً ما يغمر الباحث النجيب بعبارات الثناء تشجيعاً له علي البحث، وآخذاً بيده إلي أن يسير مع أصحاب الآراء والمؤلفين علي تقصي حكمة من يقول: هم رجال ونحن رجال[١].

ويقول عن أستاذه النجار: كان الأستاذ –رحمه الله– غزير العلم كريم الأخلاق، يحب البحث، ويتلقى مناقشة الطلاب بصدر رحب، كنت ممن حضر درسه لكتاب (المواقف)[٢]، ودرسه لتفسير البيضاوي[٣]، ودرسه لشرح عبد الباقي الزرقاني علي المختصر الخليلي[٤]، ولشدة استقصاء الأستاذ لما يقرره الكاتبون، وعنايته بنقد ما يوردونه من الآراء، مكثنا بضع سنين في أبواب من هذه الكتب معدودة، وكنت

(١) **ينظر:** تونس وجامع الزيتونة، ص١٨٣

(٢) هو كتاب المواقف في علم الكلام، لعبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار القاضي عضد الدين الإيجي، وهو كتاب مطبوع ومتداول، من طبعاته: طبعة دار الجيل، بيروت، الأولى ١٩٩٧م

(٣) المسمى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للقاضي ناصر الدين: أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥ه، وهو مطبوع ومتداول وعليه حواش كثيرة، من طبعاته: طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨ه – ٢٠١٠م.

(٤) هو عبد الباقي يوسف بن أحمد شهاب الدين بن محمد بن علوان الزرقاني، المالكي العلامة الحجة، مرجع المالكية في عصره، من مؤلفاته: شرح لمختصر الخليلي، وهو مختصر لمعظم مسائل الفقه المالكي. ينظر: ترجمته في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد (٢٨٧/٢) المطبعة الوهبية – ١٢٨٤ه.

أستفيد من مجالسه ما لا يقل عما أستفيده من دروسه، ولم نرى له في سعة الاطلاع، والمحاضرة بالعلوم علي اختلاف فنونها من نظير[1].

يبدوا من خلال كلام الشيخ عن أستاذيه، أن الأول يمثل المدرسة الاستقلالية الإصلاحية، والثاني يمثل مدرسة المحافظين، ويظهر أن الشيخ تأثر بالاتجاهين، فقد كان له شخصيته العلمية واستقلاله الفكري، وفي نفس الوقت محافظاً واعياً مدركاً لأحوال العصر والمدنية الحديثة، ويظهر هذا جلياً واضحاً لمن يقف علي آثار الرجل ويتعمق في فهمها.

(١)**ينظر:** تونس وجامع الزيتونة، ص١٢١

المطلب الثاني: أسفاره ورحلاته ووظائفه التي تولاها.

○ **أسفاره ورحلاته:**

الترحال والسياحة في الأرض من الأمور التي دعا إليها القرآن الكريم ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾[١]، والشيخ –رحمه الله تعالى– تنقل في حياته بين بلاد مختلفة؛ لإيمانه بأهمية الرحلة، وفوائدها العظيمة، فقد أعد محاضرة عن أثر الرحلة في التكوين العلمي والأدبي بعنوان: أثر الرحلة في الحياة العلمية والأدبية، ألقاها بالمجمع العلمي بدمشق، ونشرت في مجلة الهداية الإسلامية، الجزء الثاني من المجلد العاشر، كما سجل مشاهده في رحلاته في مقالات، جمع أغلبها ابن أخيه علي الرضا، وضمها في كتاب سماه: الرحلات...

يقول الشيخ في محاضرة: أثر الرحلة في الحياة العلمية والأدبية: الغرض من هذه المحاضرة: البحث عن رحلات أهل العلم والأدب، وما تأتي به من ثمار طيبة، لنعرف كيف تكون الرحلة، من وسائل ترقية العلوم والآداب، وتهذيب النفوس، وإصلاح حال المجتمع[٢]. ولقد اختلفت وتضاربت أقوال المترجمين للشيخ في الحديث عن ترتيب رحلاته، ربما يكون منشأ هذا التضارب، الاختصار، أو ضيق المساحة المقدرة للكتابة، الأمر الذي يجعل الباحث أو المؤرخ يسقط بعض الرحلات التي قد يراها غير مناسبة للسياق.

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٢٠

(٢) ينظر: كتاب الرحلات، الخضر حسين، ص٦، طبعة دار النوادر.

ويمكن ذكر تنقلات الشيخ علي سبيل الإجمال هكذا: تنقل من الجزائر إلي تونس إلي الجزائر زائراً، إلي تونس، إلي دمشق، إلي الأستانة، ثم إلي تونس، فدمشق، فالحجاز، فالبلقان وألبانيا، فالأستانة، فدمشق، ثم إلي ألمانيا، ثم إلي دمشق، ثم إلي القاهرة التي استقر بها(١).

ولا شك أن لهذه الرحلات العلمية من الآثار ما لها، فقد دون الشيخ بعض الأمور العلمية التي مرت به في رحلاته تلك، ومما سجله الشيخ: أنه لما وصل مدينة قسنطينة في الجزائر(٢) استمع إلي درس في المسجد الكبير بهذه المدينة للشيخ حمدان الونيسي(٣) قال: وبعد أن تم الدرس، تقدم إلينا بعض الطلبة، الذين سبقت لنا بهم معرفة، مسترشدين عن مسائل منها: كيف يجمع بين قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥ ﴾ (٤)، وبين قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ﴾(٥)، فقال الجواب: أن الله –تعالى– لا يؤاخذ أحداً بزلة أحد، وإنما يستحق العقوبة صاحب الذنب، إلا أن الله –تعالى– فرض علي كل مسلم إذا رأي منكراً أن يغيره، فإذا لم يفعل ما استطاع من تغييره، وسكت. كان عاصياً، فينخرط مع صاحب الذنب في

(١)**ينظر:** محمد الخضر حسين وفقه السياسة في الإسلام، محمد الجوادي، ص ٢٢، ٢٧

(٢)**قسنطينة:** من أكبر مدن الجزائر تعدادا للسكان، وهي تقع في شرق الجزائر، وتسمى باسم مدينة الجسور المعلقة، وذلك لكثرة الجسور التي تربط بين جنباتها.

(٣) هو الشيخ حمدان بن أحمد الونيسي من علماء قسنطينة بالجزائر، ولد سنة ١٢٧٢هـ – ١٨٥٦م، وكان يدرس الفقه والنحو وسائر العلوم الشرعية بالجامع الكبير بقسنطينة، ثم هاجر إلي المدينة وظل يدرس الحديث بالمسجد النبوي حتى وفاته ١٣٣٨هـ – ١٩٢٠م.**ينظر:** تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٢٥

(٥) سورة الأنعام: جزء من الآية ١٦٤

العقوبة، أحدهما بفعله، والآخر برضاه، قال تعالى: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾[١]، فالفتنة في الواقع لا تصيب إلا صاحب الذنب، كما قال عمر (ﷺ): إن الله لا يعذب العامة بذنب الخاصة، ولكن إذا عملوا المنكر جهاراً استحقوا العقوبة[٢].

- **وظائفه التي تولاها:**

بعد أن نال الشيخ –بفضل الله تعالى– درجة العالمية من الزيتونة في سنة (١٢١٦هـ – ١٨٩٨م) وهو في الثالثة والعشرين من العمر، بدء سلسلة أعماله ووظائفه:

١– قام بالتدريس في جامع الزيتونة تطوعاً فور تخرجه[٣].

٢– عمل بالصحافة فأنشأ مجلة السعادة العظمى[٤].

٣– تولى القضاء ببنزرت[٥].

٤– الإشراف علي مكتبة جامع الزيتونة[٦].

---

(١) سورة المائدة: الآية ٧٩

(٢) **ينظر:** الرحلات، ص٣٢

(٣) عهد إليه بالتدريس في هذا الجامع بعد التخرج مباشرة، علي عادة النظام الذي كان معمولاً به في الجامع الأزهر، والجامعات العالمية التي أخذت عنه، وهو ما عرف علي أنه نظام المعيدين... **ينظر:** محمد الخضر حسين وفقه السياسة في الإسلام، ص ١٨

(٤) أسسها الشيخ في المحرم سنة ١٣٢٢ه، وهي أول مجلة عربية ظهرت في تونس، وكانت نصف شهرية، وقد صدر منها واحد وعشرون عدداً، إذ انقطعت عن البروز في شهر ذي القعدة سنة ١٣٢٢ه. **ينظر:** السعادة العظمى للإمام الخضر، جمع علي الرضا الحسيني، ص ٥، ٦، طبعة دار النوادر، الأولى ١٤٣١ه – ٢٠١٠م، ومحمد الخضر حسين، حياته، وآثاره، ص٣١.

(٥) بنزرت: واحدة من ولايات تونس الأربع والعشرون، تبعد عن العاصمة بنحو أربعة وستون كليو متر، وقد ولي الشيخ القضاء في هذه الولاية بتشجيع من الشيخ الطاهر بن عاشور، ولكنه بقي أشهراً قليلة متقلداً خطة القضاء، ثم قدم استقالته، وألح في قبولها. **ينظر:** محمد الخضر حسين، حياته، وآثاره، ص ٣٧، ٣٨

(٦) وهذا يؤكد اهتمام الإدارة، وتقديرها لكفاءته؛ لأن تنظيم مكتبة علمية غنية بالمخطوطات، وبأمهات الكتب، لا يمكن أن يُوكَل لغير رجال عرفوا بالعلم الغزير والاطلاع الواسع...**ينظر:** محمد الخضر حسين، سيرته ومؤلفاته، محمد الحمد، ص ٤٦

٥- أستاذ بالمدرسة الصادقية[١].

٦- عضو بالجمعية الزيتونية[٢].

٧- التدريس بالمدرسة السلطانية في دمشق[٣].

٨- عضو المجمع العلمي العربي بدمشق[٤].

٩- مصححاً بدار الكتب المصرية[٥].

١٠- شارك في تأسيس جمعية الشبان المسلمين سنة ١٣٣٦هـ - ١٩٢٧م[٦].

١١- أنشأ جمعية الهداية الإسلامية[٧].

١٢- التدريس بالأزهر الشريف[٨].

---

(١) هي المدرسة الثانوية الوحيدة في تونس وقتئذ، وقد افتتحت سنة ١٨٧٥ه، **ينظر: محمد الخضر حسين وفقه السياسة في الإسلام، ص ٢٢**

(٢) أسس هذه الجمعية مع نخبة من العلماء، في مقدمتهم محمد الطاهر بن عاشور سنة ١٣٢٤ه - ١٩٠٦م، وتولى رئاستها ابن عاشور. **ينظر: ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر، جمع علي الرضا الحسيني، ص ١٨٦، طبعة دار النوادر، الأولى ١٤٣١ه - ٢٠١٠م.**

(٣) المدرسة السلطانية تنسب إلي سلطان حلب الملك الظاهر، غازي بن صلاح الدين الأيوبي. **ينظر: موقع مداد، مقال لعبد الله كامل مرسي.**

(٤) عقد جلسته الأولى عام ١٩١٩م، وبقي عضواً عاملاً في هذا المجمع مدة إقامته بالعاصمة السورية، ثم أصبح عضواً مراسلاً عند انتقاله إلي القاهرة واستقراره بها عام ١٩٣٠م.**ينظر: ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر، ص١٩٠**

(٥) حصل عليها بعد سفره إلي مصر، بواسطة صديقه الحميم أحمد تيمور باشا. **ينظر: محمد الخضر حسين، سيرته ومؤلفاته، محمد الحمد، ص٥٣**

(٦) كان الغرض من تأسيسها التعريف بالإسلام والذود عن حياضه، وقد شاركه في تأسيسها صديقيه: أحمد تيمور باشا، ومحب الدين الخطيب.**ينظر: محمد الخضر حسين، سيرته ومؤلفاته، محمد الحمد، ص٥٤**

(٧) أنشأها الشيخ مع جمهرة من علماء المسلمين بالقاهرة في رجب ١٣٤٦ه - يناير ١٩٢٨م، وأولاها كل جهده ووقته، فأصدر مجلة تحمل اسم الجمعية، صدر العدد الأول منها في جمادى الثانية ١٣٤٧ه، وتابعت صدورها ما يزيد علي ثلاثة وعشرين سنة برئاسة الإمام. **ينظر: كتاب الهداية الإسلامية للخضر حسين، جمع علي الرضا الحسيني، ص ٣، دار النوادر، الطبعة الأولى ١٤٣١ه - ٢٠١٠م.**

(٨) في سنة ١٩٢٢م هيأ الله -تعالى- للشيخ أسباب التدريس في الأزهر، فتقدم=

١٣- رئاسة تحرير مجلة الأزهر[١].

١٤- عضوية مجمع اللغة العربية[٢].

١٥- دخوله هيئة كبار العلماء[٣].

١٦- توليه مشيخة الأزهر الشريف[٤].

= لامتحان العالمية، وشكلت لجنة من قساة الممتحنين ليؤدي امتحانه أمامها، وبهر الرجل الممتحنين بغزارة علمه، وفاض عليهم بما وهبه الله – تعالى- له من معرفة، ونال شهادة العالمية من الأزهر، ونص في القرار علي أن اللجنة: (امتحنت الشيخ فوجدته بحراً لا ساحل له...) ثم عين مدرساً بتخصص أصول الدين... **ينظر:** أحاديث في رحاب الأزهر للإمام الخضر حسين، جمع علي الرضا، ص ١٩٩، طبعة دار النوادر ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

(١) أصدر الأزهر مجلته التي صدرت باسم (نور الإسلام) سنة ١٣٤٩هـ – ١٩٣٠م، وعهد إلي الشيخ برئاسة تحريرها، فنهض بهذه المهمة ثلاث سنوات، وأرسى قواعد التحرير في المجلة، ونظم شؤونها. **ينظر:** ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر، ص١٩٤، الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين، جمع علي الرضا الحسيني، ص ٢١٦، طبعة دار النوادر، الأولى ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

(٢) تأسس (مجمع اللغة العربية) في القاهرة بمرسوم ملكي، أصدره الملك فؤاد في سنة ١٣٥١هـ، ثم صدر مرسوم ثان بموجبه تعيين الأعضاء العاملين بالمجمع، وكان الشيخ الخضر علي رأس هؤلاء، وكانوا عشرين عالماً وأديباً من كبار رجال العلم والأدب في مصر والعالم العربي. **ينظر:**الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين، ص٢١٦

(٣) أكبر هيئة علمية في مصر، أسست سنة ١٩١١م، ثم غير اسمها في سنة ١٩٦١م إلي مجمع البحوث الإسلامية. **ينظر:** هيئة كبار العلماء (١٩١١ – ١٩٦١) للباحثة زوات عرفان المغربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب. وقدم الشيخ رسالة بعنوان: (القياس في اللغة العربية) حوت بحثاً لم يطرقه أحداً من علماء الأزهر من قبل، وفي ٢٩ أبريل ١٩٥١م صدر أمر ملكي رقم ٢٢ لسنة ١٩٥١م بتعيين الشيخ محمد الخضر حسين عضواً في هيئة كبار العلماء. **ينظر:** أحاديث في رحاب الأزهر للإمام الخضر حسين، جمع علي الرضا، ص ١٩٩

(٤) بعد قيام ثورة ١٩٥٢م، زار ثلاثة وزراء منهم الشيخ حسن الباقوري وزير الأوقاف الشيخ في منزله، فبادره الباقوري بالقول: لقد وقع الاختيار عليك لتكون شيخاً للأزهر، وقد جئت مع زميليَّ لنبلغك هذا القرار، فأبدي الشيخ امتناعاً؛ نظراً لخطورة المهمة وكبرها، ولتقدم سنه، ولكن الباقوري رفض قائلاً: هذا أمر تجنيد، وفي هذا العهد المبارك تجنيد الكفاءات النزيهة لخدمة مصر، عند ذلك قبل هذه المسئولية الجديدة، وأجاب: وأنا لا أهرب من الجندية، وليوفقنا الله تعالى. **ينظر:** محمد الخضر حسين، حياته، وآثاره، ص ١١٣، ١١٤ لكن رجال الحكم لم يتركوا الشيخ يعمل في هدوء، ووضعوا العراقيل في طريقه، وشعر الشيخ بضغوط تحول بينه وبين ما يريد، أو تطلب منه تنفيذ ما لا يرضيه، فتقدم باستقالته في ٢ جمادى الأولى ١٣٧٣هـ – ٧ يناير ١٩٥٤م، قائلاً كلمته الشهيرة: " يكفيني كوب لبن وكسرة خبز، وعلي الدنيا بعدها العفاء " **ينظر:**الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين، جمع علي الرضا الحسيني ص٢١٧

المطلب الثالث: مؤلفاته.

الشيخ الخضر حسين صاحب ميادين واسعة في التأليف العلمي، فقد ألف في علوم الشريعة من تفسير، وحديث، وسيرة، وفقه، وأصول، وعقائد، وغير ذلك...

والشيخ في مؤلفاته جمع بين الطبقتين، طبقة العلماء أصحاب البحوث العلمية في الفقه والتشريع والعلوم اللسانية من نحو وبلاغة...، وطبقة الأدباء أصحاب النثر الفني والشعر الرائع المعنى الدقيق التصوير، والنقاد قد قسموا أصحاب التأليف إلي هاتين الطبقتين، وذلك بسبب ما يشاهدونه كثيراً من ركاكة أشعار العلماء، وضحالة إنتاج الأدباء، وهذا حق في أكثر أحواله، ولكن لا يمنع أن يوجد بين الموهوبين من يبرز في الناحيتين علي نحو يدهش ويروع، وقد كان الشيخ الخضر أحد هؤلاء الموهوبين دون جدال[١]، وأغلب آثار الشيخ ناتجاً عن المحاضرات، والمقالات التي نشرت في صحف ومجلات مختلفة[٢].

وقد قام ابن أخي الشيخ الأستاذ علي الرضا الحسيني، بجمع تراث عمه من الصحف والمجلات ومن ما هو موجود عند بعض محبيه وتلامذته، أو من يخصهم برسالة، أو جواب[٣]. جمعه في صورة موسوعة الأعمال الكاملة للشيخ، وأشار في تقديمه للموسوعة أن هذا ما وصل إليه التحقيق والبحث[٤]، وفي تقديمه للمجلد الثالث والعشرين

(١) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، للدكتور محمد رجب البيومي (٥١/١، ٥٢) طبعة دار القلم- دمشق، والدار الشامية – بيروت.
(٢) محمد الخضر حسين، حياته، وآثاره، ص١٢٢، ١٢٣، الشيخ محمد الخضر حسين، سيرته ومؤلفاته، محمد الحمد، ص٨٢
(٣) الشيخ محمد الخضر حسين، سيرته ومؤلفاته، محمد الحمد، ص٨٤
(٤) الأعمال الكاملة للإمام الخضر حسين، جمع علي الرضا (٥/١)، مطبعة دار النوادر – سوريا – لبنان – الكويت.

يقول: كلما ظننت أني وصلت إلي نهاية المطاف وأحطت بالأعمال الكاملة للإمام الخضر حسين –رحمه الله تعالى– إلا وتقع تحت يدي مقالة من هنا، وبحث من هناك في صحف ومجلات لم تكن متوفرة عندي آنذاك(١).

ومن هنا لا يمكن الجزم بأن تراث الشيخ قد خرج كاملاً، حتى بعد خروج موسوعة الأعمال الكاملة(٢).

والكتب التي طبعت في حياة الشيخ، حين أخرجها الأستاذ علي بعد وفاة الشيخ لم تكن في معظمها علي النسق الذي وضعه مؤلفها، فقد تصرف الناشر في بعض العناوين، وفي المحتوى، وعمد إلي تكديس كتب علي كتب، أو جمع مقالات ومحاضرات إلي كتاب سبق طبعه مستقلاً(٣).

وهذا عرض موجز لمؤلفات الشيخ حسب ترتيب الموسوعة.

١ – أسرار التنزيل(٤).

٢ – بلاغة القرآن(٥).

٣ – دراسات في الشريعة الإسلامية(٦).

---

(١)الأعمال الكاملة للإمام الخضر حسين، جمع علي الرضا (٣/٢٣)

(٢) الشيخ محمد الخضر حسين، سيرته ومؤلفاته، محمد الحمد، ص٨٤

(٣)**ينظر:** مقال للأستاذ أبو القاسم كرو (صحفي تونسي) بعنوان: محمد الخضر حسين، شيخ الأزهر السابق، دراسة، مختارات، نشر ضمن كتاب: محمد الخضر حسين بأقلام نخبة من أهل الفكر ص ١٣١

(٤) هو من تسمية الأستاذ علي الرضا، جمع فيه ما عثر عليه من الآيات التي فسرها عمه الإمام الخضر، ويقع في المجلد الأول من الموسوعة، وإن شاء الله تعالى سأتناول هذا الكتاب بشيء من التفصيل عند الحديث عن نتاج الشيخ في التفسير.

(٥) هذا العنوان أيضاً من وضع علي الرضا، وهو عبارة عن بحوث ومقالات تتعلق بالقرآن الكريم، وعلومه، ويقع في المجلد الثاني من الموسوعة.

(٦) وهذا لم يسمه المؤلف، وإنما سماه الأستاذ علي الرضا، وهو يضم مجموعة مقالات منشورة في مجلة (لواء الإسلام) تشمل العقائد، والعبادات، والأخلاق، ويقع في المجلد الثالث من الموسوعة.

٤- محمد رسول الله (ﷺ) وخاتم النبيين[١].

٥- تراجم الرجال[٢].

٦- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان[٣].

٧- محاضرات إسلامية[٤].

٨- رسائل الإصلاح[٥].

٩- الدعوة إلي الإصلاح[٦].

١٠- دراسات في العربية وتاريخها[٧].

---

(١) يضم مجموعة من الرسائل، والمحاضرات، والبحوث حول السيرة النبوية، وقد جمعها الأستاذ علي في كتاب سماه باسم إحدى الرسائل التي تضمنها الكتاب، وهي: محمد رسول الله (ﷺ) وخاتم النبيين، ويقع في المجلد الثالث من الموسوعة.

(٢) يقول علي الرضا في مقدمة هذا الكتاب: في هذا اثر الذي سميناه: "تراجم الرجال: ضمناه ما كتبه الإمام من مقالات أعلام الإسلام، ونشر في مجلتي الهداية الإسلامية، ونور الإسلام، أو ما ألقاه من محاضرات في النوادي الإسلامية. **ينظر:** تراجم الرجال (٣/٥)، وقد احتوى الكتاب علي ترجمة لثلاث عشر شخصية مثل عثمان بن عفان، وموسى بن نصير، والإمام الغزالي...، ويقع في المجلد الخامس من الموسوعة.

(٣) يقول علي الرضا في تقديم هذا الكتاب: مباحث في أصول الدين، وأصول الفقه، والأحكام العملية والفتاوى، وقد جمعنا كافة هذه تحت اسم:الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، وهو البحث الأول في هذا الكتاب. **ينظر:**الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، وهو ضمن الموسوعة (٣/٦)

(٤) يحتوي علي محاضرات ألقاها الإمام في النوادي، ومقالات نشرها في مجلتي نور الإسلام، والهداية الإسلامية، وقد اشتمل علي بعض كتب طبعت في حياة الإمام، مثل: كتاب الحرية في الإسلام، ويقع في المجلد السابع من الموسوعة.

(٥) هذا الكتاب صدر في حياة الشيخ، حيث طلب إليه بعض المخلصين أن يجمع ما كتبه من من مقالات في: الدين، والأخلاق، والاجتماع في كتاب يسهل الرجوع إليه، فاستجاب الشيخ لهذه الرغبة، فأخذ في المقالات، ونشر في كتاب يتكون من ثلاثة أجزاء وسماه: رسائل الإصلاح. **ينظر:** رسائل الإصلاح، ضمن الموسوعة (٣/٨)، الشيخ محمد الخضر حسين، سيرته ومؤلفاته، محمد الحمد، ص١٢٠

(٦) هي رسالة من تسمية الشيخ، طبعت في حياته سنة ١٣٤٦ه بالمطبعة الرسمية في تونس، وضم إليها الأستاذ علي الرضا مقالات ومحاضرات في كتاب يحمل نفس العنوان، ويقع هذا الكتاب في المجلد التاسع من الموسوعة.

(٧) هو من تسمية الأستاذ علي، وأول كتاب جمعه وطبعه للإمام، وهو مجموعة كتب ورسائل ومحاضرات تتعلق بالدراسات اللغوية. **ينظر:** الموسوعة (٤/١٠)

١١- دراسات في اللغة[١].

١٢- الخيال في الشعر العربي، ودراسات أدبيه[٢].

١٣- ديوان خواطر الحياة[٣].

١٤- نقض كتاب في الشعر الجاهلي[٤].

١٥- نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم[٥].

١٦- جبهة الدفاع عن أفريقيا الشمالية[٦].

١٧- القاديانية والبهائية[٧].

---

(١) يحوي اثني عشر بحثاً لغوياً جمعها الأستاذ علي، وهو متمم لكتاب دراسات في العربية، ويقع في المجلد الحادي عشر من الموسوعة.

(٢) هذا الكتاب يضم سبعة مباحث، سمي باسم البحث الأول منه، وهو: الخيال في الشعر العربي، وهو عنوان كتاب مستقل من تسمية الإمام، طبع ونشر في حياة الإمام، وعند إعادة النشر ضمه الأستاذ علي إلي بحث الخيال مقالات ومحاضرات في الأدب، وسماه:الخيال في الشعر العربي، ودراسات أدبيه، **ينظر:** الموسوعة (٣/١٢)

(٣) أغلب ما في هذا الديوان من المقاطع القصيرة، وليس فيه قصيدة طويلة إلا قليل جداً، وقد طبع أول مرة سنة ١٣٦٦ه، وعلق عليه الشيخ محمد علي النجار، ثم طبع ضمن الموسوعة وجاء في المجلد الثالث عشر منها.

(٤) هذا الكتاب رد علي ما جاء من الخلل والطعن في الحقائق الشرعية والتاريخية والأدبية والأدبية في كتاب الشعر الجاهلي لطه حسين، وقد رد عليه الإمام ونقض أباطيله بأسلوب علمي ومنهج سليم بعيد عن العاطفة والعصبية، بل إن طه حسين نفسه أسر للشيخ الطاهر بن عاشور في إحدى لقاءاته معه: أن رد الشيخ الخضر حسين من أهم الردود، وأشدها حجة... **ينظر:** نقض كتاب في الشعر الجاهلي، ضمن الموسوعة (٤/١٤)، وهذا العنوان هو من تسمية الإمام، وقد طبع الكتاب مراراً في حياته. **ينظر:**الشيخ محمد الخضر حسين، سيرته ومؤلفاته، محمد الحمد، ص١٥٣

(٥) هذا الكتاب رد ونقض لما ذكره علي عبد الرازق من علماء الأزهر في كتابه " الإسلام وأصول الحكم " من أباطيل، مثل أن رسالة النبي (ﷺ) رسالة روحية لا علاقة لها بالحكم، وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٣٤٤ه بالمطبعة السلفية بالقاهرة، ثم أعيد طبعه في الموسوعة، ويقع في المجلد الخامس عشر منها.

(٦) هو من تسمية الأستاذ علي الرضا، يقول في مقدمته: نخصه بالوثائق التي ارتبطت بأعمال الجبهة ونشاطها...، ويحوي الكتاب: الحرية في الإسلام، جهاد الإمام في برلين، تصريحاته في مشيخة الأزهر... **ينظر:** جبهة الدفاع عن أفريقيا الشمالية، ضمن الموسوعة (١٦/ ٤، ٥)

(٧) عبارة عن مقالات نشرها الشيخ في مجلة نور الإسلام، وجمعها الأستاذ علي في كتاب بلغت صفحاته تسعون صفحة، ويقع في المجلد السابع عشر من الموسوعة.

١٨- الهداية الإسلامية[١].

١٩- أحاديث في رحاب الأزهر[٢].

٢٠- تونس وجامع الزيتونة[٣].

٢١- من أوراق ومذكرات الإمام محمد الخضر حسين[٤].

٢٢- الرحلات[٥].

٢٣- هدى ونور[٦].

٢٤- السعادة العظمى[٧].

(١) جمع فيه الأستاذ علي الرضا بحوث الشيخ ومقالاته التي كان ينشرها في مجلة الهداية الإسلامية، وهذه المقالات تدور حول الدين، والاجتماع، والسياسة، والطب، والقضاء، والأخلاق، ويقع الكتاب في المجلد الثامن عشر من الموسوعة.

(٢) من تسمية الأستاذ علي الرضا، يقول في مقدمته: وهذه صفحات الكتاب تضم أحاديث الإمام في رحاب الجامع الأزهر، تلك التي نشرتها الصحف والمجلات، خاصة جريدة الأهرام، بالإضافة إلي تعليقات وأقوال الصحافة من خلال اختياره للمشيخة. **ينظر:** أحاديث في رحاب الأزهر، ضمن الموسوعة (٤/١٩)

(٣) عبارة عن بعض الدراسات والتراجم لبعض عظماء ورجال تونس ومعاهدها وازدهارها وازدهارها العلمي والأدبي، جمعها الأستاذ علي في كتاب سماه: تونس وجامع الزيتونة، وهو يقع في الجزء العشرون من الموسوعة.

(٤) عبارة عن رسائل الشيخ والمكاتبات بينه وبين أصدقاءه والعلماء، جمعها الأستاذ علي، علي، وهي تقع في المجلد الحادي والعشرين من الموسوعة.

(٥) جمع فيه الأستاذ علي ما كتبه الشيخ ن الرحلات عموماً، وما سجله من مشاهد عن بعض الرحلات التي قام بها إلي البلدان الأخرى. **ينظر:** الرحلات، ضمن الموسوعة (٤/٢٢، ٥)

(٦) من تسمية الأستاذ علي الرضا، جمع فيه مقالات الشيخ المنشورة في مجلات: الفتح، نور الإسلام، الهداية الإسلامية، لواء الإسلام. وهي مقالات تتعلق بموضوعات طرقها الشيخ قبل ذلك، وكان الأستاذ علي يأمل أن يضم كل مقال إلي الكتاب الخاص بالبحوث المشابهة، ولكنه رأي أن لا يبدل ولا يغير في الطبعات السابقة للمؤلفات التي أصدرها حتى الآن، حتى في حالة إعادة الطبع وأن يحافظ علي استقلال كل كتاب. **ينظر:** هدى ونور، ضمن الموسوعة (٣/٢٣)

(٧) هو عبارة عن المقالات التي نشرها الشيخ في مجلة السعادة العظمى، جمعها الأستاذ علي في كتاب يحمل نفس اسم المجلة، وقد بلغت صفحات الكتاب ثلاثمائة وستاً وثلاثين صفحة، ويقع في المجلد الرابع والعشرين من الموسوعة.

٢٥- المغني عن الحفظ والكتاب[١].

٢٦- الإرث الفكري للإمام الخضر حسين[٢].

فهذه الآثار تنبئ عن عظم مكانة الإمام العلمية، وما حباه الله – تعالى- به من قدرة فائقة علي البحث والكتابة، والنقد والنقض والرد. وقد ضم الأستاذ علي الرضا ما كتب حول الإمام، وعنه، ومنهجه في الإصلاح إلي الموسوعة حتى بلغت ثلاثون مجلداً.

(١) كتب الإمام مقدمة لكتاب المغني عن الحفظ والكتاب للحافظ ضياء الدين عمر بن بدر الموصلي، وهو في الأحاديث الموضوعة، صغير المبنى عظيم المعنى، وللشيخ تعليقات قيمة علي متن الكتاب، تدل علي علو كعبه في علم الحديث، والكتاب يقع في المجلد الخامس والعشرين من الموسوعة.

(٢) جمع فيه الأستاذ علي الرضا الملفات الخاصة بالإمام المحفوظة في دار الوثائق القومية بالقاهرة، منها مئات الأوراق من قصائد لم تنشر في ديوان الحياة، ومنها صفحات من مذكراته، كان قد صرف النظر عن نشرها، ومنها مقالات في مختلف الفنون لم تطبع بعد، وقد بلغت صفحات هذا الكتاب ثنتان وخمسون صفحة. **ينظر**:الإرث الفكري للإمام الخضر حسين،ضمن الموسوعة (٥/٢٦)

المطلب الرابع: أخلاقه وثناء العلماء عليه.

لقد امتاز الشيخ –رحمه الله تعالى– بأخلاق عالية، وصفات نادرة، وقد كتب عن صفاته الأخلاقية والعلمية بحوثاً ودراسات كثيرة، جمع بعضها ابن أخيه علي الرضا الحسيني[1] في كتاب ضمن مجموعة الأعمال الكاملة للشيخ، سماه: الإمام محمد الخضر حسين، بأقلام نخبة من أهل الفكر.

يقول عنه الكاتب محمد عبد الله السمان[2]: والشيخ أكبر وأجل من أن يزهد في ذرة من كرامته، فهو مستعد لأن يبذل روحه وما يملك في سبيل كرامته، وليس مستعداً لأن يبذل ذرة منها في سبيل الإبقاء علي حياته، ولا في سبيل الدنيا[3].

ويقول عنه الدكتور الشرباصي[4]: الشيخ إذ جلس ليكتب كتب في هدوء وأناة، يزن لفظه أن يخطه، ويتدبر عباراته قبل أن يصوغها،

(١) هو الأستاذ المحامي علي الرضا بن زين العابدين الحسيني، ابن أخ الإمام الخضر حسين، ولد في دمشق عام (١٣٥١ه – ١٩٣٢م)، تخرج في كلية الحقوق، جامعة دمشق سنة ١٩٤٦م، ثم طلب إحالته إلي التقاعد في ٢٠٠٢م ليتفرغ للبحث والعمل الثقافي، اهتم بتراث عمه الإمام منذ عام ١٩٦١م، نظم الشعر، وله دواوين شعرية مطبوعة منها: ربيع شاعر. **ينظر:** ترجمته في موسوعة الأعمال الكاملة للإمام الخضر حسين (٣٥/١: ٣٧)

(٢) أحد أعلام الدعوة الإسلامية في القرن العشرين (١٣٣٥ه – ١٤٢٨ه) – (١٩١٧م – ٢٠٠٧م)، تخرج في كلية اللغة العربية، ثم حصل علي ليسانس في القانون، ثم دبلوم في الشريعة الإسلامية من جامعة عين شمس، من مؤلفاته: عظة الموت، الرحمة المهداة. **ينظر:** المكتبة الشاملة – قائمة الأسماء.

(٣)**ينظر:** كتابات حول الإمام الخضر حسين ص ٦٧

(٤) هو الدكتور أحمد الشرباصي، ولد سنة ١٩١٨م بقرية البجيلات، مركز دكرنس، ثم تخرج من كلية اللغة العربية ١٩٤٣م، وعمل مدرساً بوزارة المعارف، والمعاهد الأزهرية، من مؤلفاته: القصاص في الإسلام، واجب الشباب العربي، توفي ١٩٨٠م، **ينظر:** الأزهر في ألف عام، للدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجي، والدكتور/ علي صبح (٢٠١/٥- ٢١٤)، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثالثة.

فإذا ما جئت لتقرأ ما كتب أعجبك أن ترى عقلاً واسعاً نيراً، وتفكيراً عميقاً سليماً، ونظرة بعيدة صحيحة، وأسلوباً رزيناً محكماً[١].

ويقول عنه الدكتور محمد عمارة[٢]: لقد جمع إلي وعيه بتراث أمته، وكنوزها الحضارية وعياً بالتحديات المعاصرة التي تحول بينها وبين النهضة والإحياء، فكان لسان الأصالة المعبر عن المشكلات المعاصرة، وضرورتها، يزود عن فكر الإسلام ومجد العروبة، ويدعوا إلي النهضة الحديثة المرتكزة علي المعارف والصناعات[٣].

ويذكر علي الرضا بعضاً من الجوانب الخاصة في حياة عمه، فيقول: الكتاب رفيقه وجليسه، يضعه إلي جانبه إذا خاض في حديث، ويمسك به للمطالعة إذا انتهى، كان مهداءً لكتبه، يقدمها إلي كل زائر، ويبعث بها إلي معارفه من الشيوخ والعلماء في المعاهد الدينية، ولم يستفد مالاً من عائداتها، سكناه بسيطة، يتجلى فيها زهد الإمام وورعه، شقته بالكراء من غرفتين وفسحة بينهما، وفرش متواضع...، لذا نراه يستقبل زواره في دار جمعية الهداية، لا لسبب إلا لضيق داره، لم يقتن سيارة في حياته، ولم يمتلك عقاراً، وعند فاته لم يترك إلا مكتبته، أهداها إلي دار الكتب المصرية[٤]، وكان الشيخ صاحب ثقة بالله قوية، سألة أحد الصحفيين عن كثرة تنقلاته في الشرق والغرب، وعدم الاستقرار في

(١) رسائل الإصلاح، ص ٢٨٢، ٢٨٣

(٢) هو الدكتور محمد عمارة مصطفى عمارة، كاتب إسلامي ومؤلف ومحقق، عضو بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، تخرج في كلية دار العلوم، وحصل علي الدكتوراه منها، له مؤلفات عديدة، منها: الغرب والإسلام، أين الخطأ.. وأين الصواب، أزمة الفكر الإسلامي الحديث... ينظر: الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة، قائمة الأسماء، علي الشبكة العنكبوتية.

(٣) **ينظر:** الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين، ص ٣٥٤

(٤) ملتقى الإمام الخضر حسين في الجزائر، ص ٤٧، ٤٨

مكان فترة طويلة، فهل كنتم تحسون أثناء ذلك باضطراب أو قلق أو وحشة؟ فأجاب في هدوئه المألوف: إن الذين يؤمن بعقيدة أو مبدأ لا يحس بغربة مهما تنقل وارتحل، ما دام وفياً لعقيدته، متمكناً من مبدئه، ومرت بي فترات سجن، وقسوة، وعنف، واتهام وتهديد، وحرمان ومطاردة، ومع ذلك كان للمرء أنيس؛ أي أنيس من ربه وإيمانه[1].

(١)**ينظر:** كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين، ص ٨٠

المطلب الخامس: وفاته.

بعد ظهر يوم الأحد في (١٣ رجب ١٣٧٧هـ – ٢٨ فبراير ١٩٥٨م)، لقي الإمام الخضر حسين ربه، بعد حياة حافلة بالعلم والعمل، وقد صلي عليه في الجامع الأزهر، ومشي في جنازته علماء الأزهر، وأعيان الأمة، والمنتسبون إلي العلم، ودفن في مقبرة آل تيمور، حيث أوصى أن يدفن هناك حذو صديقه أحمد تيمور(١)، نسأل الله – تعالى– أن يرحمه، ويتقبله في الصالحين، وأن ينزله منازل الأبرار والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا(٢).

(١)هو أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور باشا من العلماء المؤرخين والباحثين المحققين، كان بينه وبين الإمام الخضر صداقة قوية ، قال عنها الإمام: وصار الصداقة التي يرتاب في وجودها بعض المتأدبين، توفي سنة ١٩٣٠م. **ينظر:** ترجمة الشيخ له في كتاب: تراجم الرجال، ص١٢٤، وما بعدها.

(٢)**ينظر:** محمد الخضر حسين، حياته وآثاره، ص١١٩، ١٢٠، ومحمد الخضر حسين وفقه السياسة في الإسلام، لمحمد الجوادي، ص٣١، والشيخ الخضر حسين، سيرته، ومؤلفاته، لمحمد بن إبراهيم الحمد، ص٦٢

المبحث الثاني:

معالم الجانب الهدائي في تفسير الإمام الخضر حسين

وتحته عدة مطالب:

المطلب الأول: نتاجه في التفسير.

المطلب الثاني: معنى الجانب الهدائي وتأصيله.

المطلب الثالث: علاقة الجانب الهدائي بالتفسير.

المطلب الرابع: موقف المفسرين من الجانب الهدائي.

المطلب الخامس: صيغ الخضر حسين عن الجانب الهدائي.

المطلب السادس: وسائل الخضر حسين في الوصول إلي الجانب الهدائي.

المطلب الأول: نتاجه في التفسير.

لم يؤلف الشيخ –رحمه الله تعالى– كتاباً مستقلاً في التفسير، فآثاره التفسيرية عبارة عن مقالات تفسيرية، بدأ نشرها في مجلة " لواء الإسلام "[١]، التي كانت تصدر في القاهرة، وكان رئيساً لتحريرها، بدءاً من العدد الأول الصادر في رمضان ١٣٦٦هـ، الموافق يوليو ١٩٤٧م، حتى العدد الثاني عشر الصادر في شعبان ١٣٧٠هـ، الموافق مايو ١٩٥١م، ودروس تفسيرية ألقاها في بعض النوادي والجمعيات الإسلامية، ونشرت في مجلة " الهداية الإسلامية"[٢]، ولعل الشيخ عمد إلي نشر التفسير في الصحف عن قصد، علي اعتبار أن الصحف والمجلات هي الطريقة المثلى لنشر العلم، والدفاع عن الإسلام في ذلك الوقت، وقد قيل حينها: مقالة في صحيفة خير من ألف درس للعامة[٣]، وقد قام الأستاذ علي الرضا – جزاه الله خيرا – بجمع مقالات عمه الإمام التفسيرية المتفرقة في الصحف، وطبعها –حسب ترتيب المصف– في كتاب سماه: أسرار التنزيل، وجعله في المجلد الأول من الموسوعة، وقد طبعه قبل أن يضمه إلي الموسوعة منفرداً عام ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م[٤].

والآيات التي قام الشيخ بتفسيرها، هي:

(١)مجلة كان يصدرها الأزهر الشريف، ثم سميت بعد ذلك باسم مجلة الأزهر الشريف. **ينظر:** مقال لمجد الدين الخطيب، بعنوان: شيخ الأزهر السابق الخضر حسين، ضمن كتاب الخضر حسين بأقلام نخبة من أهل الفكر، ص ٥٨

(٢)**ينظر:** مقدمة كتاب: أسرار التنزيل، لعلي الرضا، ص ٣، ٤

(٣)**ينظر:** الشيخ الخضر حسين، سيرته، ومؤلفاته، لمحمد الحمد، ص ٨٢، ومحمد الخضر حسين، حياته وآثاره، ص ١٢٢، ١٢٣

(٤)**ينظر:** الشيخ الخضر حسين، سيرته، ومؤلفاته، لمحمد الحمد، ص ٨٧

١ –سورة الفاتحة.

٢ – **سورة البقرة:** أ– فسرها بتمامها من أولها إلي قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [١]، وهذا يقع في الكتاب من صفحة ٥، حتى صفحة ٣٧٠ ب– ثم أعاد تفسير آيتي سورة البقرة (١١٩، ١٢٠)، من قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[٢]، إلي قوله تعالى: ﴿ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[٣]، بصورة أوسع، ويقع في الكتاب من صفحة ٣٧١، حتى صفحة ٣٧٦

٣– **سورة آل عمران:** أ– تفسير الآيات (٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥) من سورة آل عمران، من قوله تعالى: ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ ﴾ [٤]،إلي قوله تعالى ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[٥]، ويقع في الكتاب من صفحة ٣٧٩، إلي صفحة ٣٨٥ ب– تفسير الآية (١٥٩) من سورة آل عمران، من قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [٦]، إلي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[٧]، وموقعه في الكتاب من ص ٣٨١، إلي ص٣٩٤

٤– **سورة الأنفال:** تفسير الآيات (٢٤، ٢٥، ٢٦)من سورة الأنفال، من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا

(١) سورة البقرة: آية ١٩٣
(٢) سورة البقرة: جزء من الآية ١١٩
(٣) سورة البقرة: جزء من الآية ١٢٠
(٤) سورة آل عمران: جزء من الآية ٥٢
(٥) سورة آل عمران: جزء من الآية ٥٥
(٦) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٥٩
(٧) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٥٩

يُحْيِيكُمْ ﴾ [١]،إلي قوله تعالى: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٢]، وموضعه من الكتاب من ص ٣٩٧، إلي ص ٤٠٤

٥- **سورة يونس:** تفسير الآيات (٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥) من سورة يونس، من قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [٣]، إلي قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[٤]،ومكانه من الكتاب من ص ٤٠٥، ألي ٤١٢

٦- **سورة الحج:** تفسير الآيتين (٢٧، ٢٨) من سورة الحج، من قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ﴾[٥]،إلي قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾[٦]،وموقعه من الكتاب من ص ٤١٣، حتى ص ٤٢٠

٧- **سورة ص:** تفسير الآيات (٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥) من سورة ص، من أول قوله تعالى: ﴿ ۞ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ [٧]،إلي قوله قوله تعالى: ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾[٨]،ويقع في الكتاب الكتاب من ص ٤٢١، حتى ص٤٣١ آخر الكتاب.

هذا هو نتاج الإمام من المقالات والدروس التفسيرية، وهو –رغم قلته– عمل كبير وعظيم بالنظر لما يهدف إليه من إصلاح، وما يحمل

(١) سورة الأنفال: جزء من الآية ٢٤
(٢) سورة الأنفال: جزء من الآية ٢٦
(٣) سورة يونس: جزء من الآية ٦٢
(٤) سورة يونس: جزء من الآية ٦٥
(٥) سورة الحج: جزء من الآية ٢٧
(٦) سورة الحج: جزء من الآية ٢٨
(٧) سورة ص: الآية ٢١
(٨) سورة ص: الآية ٢٥

بين طياته من توجيه حسن في التفسير، وحسب الشيخ أن يكون قد لفت قلوباً كثيرة من المسلمين إلي القرآن بعد أن أعرضوا عن هديه وضلوا عن إرشاده[١].

على أن تراث الشيخ كله يمكن أن يستخرج من ثناياه، آيات، فسرها فلم يكن المقام مقام تفسير، ولكنه عرج علي التفسير؛ لاقتضاء الضرورة ذلك، فهذا مثلاً مقالة عن الرحلة الجزائرية، يذكر أنه سئل فيها عن كيفية التوفيق بين قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴾[٢]، وبين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ﴾[٣]، فأجاب إجابة تفصيلية مؤيدة بالأدلة[٤]. فلعل الله –تعالى– يهيئ باحثاً ذا عزم قوي، فينهض لتتبع أقوال الإمام التفسيرية في تضاعيف آثاره كلها، وما ذلك علي الله بعزيز.

(١)**ينظر:** الخضر حسين وإصلاح المجتمع في تونس، لعلي الرضا، ص ١٧١، طبعة دار النوادر.

(٢) سورة الأنفال: جزء من الآية ٢٥

(٣) سورة الأنعام: جزء من الآية ١٦٤

(٤)**ينظر:** الرحلات، لعلي الرضا، ص ٣٢

المطلب الثاني: معنى الجانب الهدائي وتأصيله.

عُرِفَ للتفسير اتجاهين مختلفين منذ نشأته، هما: اتجاه التفسير بالمأثور، أو التفسير النقلي، واتجاه في التفسير بالرأي، أو التفسير العقلي، ثم نشأ علي مر العصور من رحم التفسير بالرأي أنواع مختلفة واتجاهات كثيرة للتفسير، منها:

التفسير التحليلي، التفسير الموضوعي، التفسير المقارن، التفسير الأدبي، ومنها التفسير الهدائي والذي هو موضوع الدراسة، والاتجاه الهدائي هو الغالب علي مدرسة المنار[١].

- **المفهوم اللغوي والاصطلاحي لكلمة الهدائي:**

المقصود بالجانب في اللغة: ناحية الشيء وشقه[٢].

والهدائي: من الهداية والإرشاد، ومصدر للفعل هَدَى، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾[٣]،أي: إن علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال: وقد هداه هديً، وهَدْيًا، وهدايَةً، وهداه للدين هُدىً[٤].

والنسبة إلي هداية: هدائي، يقول ابن يعيش[٥]: اعلم أن ما كان من نحو سقاية، وعظاية، ونحوهما مما في آخره تاء التأنيث، ولامه واو أو ياء،

---

(١) **ينظر:** المفسرون، حياتهم، ومنهجهم، للسيد محمد علي ايازي (٦٦/١، ٦٧)، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، مؤسسة الطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٣٨٦ه، واتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، لمحمد إبراهيم شريف، ص٢٣٢، دار السلام للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

(٢) **ينظر:** مقاييس اللغة، لابن فارس (٤٨٣/١)، مادة (جنب) تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر ١٩٧٩م، ولسان العرب، لابن منظور (٢٧٥/١) مادة (جنب)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤ه.

(٣) سورة الليل: الآية ١٢

(٤) **ينظر:** المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (٣٧١/٤) مادة: هدى، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١ه – ٢٠٠٠م.

(٥) هو يعيش بن علي بن يعيش، أبو البقاء، موفق الدين، له تصانيف مشهورة، منها: شرح المفصل، وشرح الملوكي لابن جني، توفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة. **ينظر:** البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٣٢٠/١) الناشر: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: ١٤٢١ه – ٢٠٠٠م.

وقبلها ألف زائده، فإنه قبل النسب تصح اللام، ولا تقلب همزة؛ لأن الاسم مبني التأنيث، فلم تقع الياء والواو طرفاً، فلم يلزم قبلهما همزة، فإذا نسبت إلي شيء من ذلك، أسقطت التاء، ثم قلبت اللام همزة، فصارت النسبة إليها كأنها إلي سقاء، وعظاء، بمنزلة كساء، ورداء، فلذلك تقول في النسب: سقائي، وعظائي، كما تقول : كسائي، وردائي، ومن قال: كساوي، ورداوي، قال هاهنا سقاوي، وعظاوي[1].

وهداية مثل سقاية، يجوز في النسب إليها هِدائي، وهِداوي...

والتفسير الهدائي يهدف إلي بيان هداية القرآن الكريم، فلا ريب أن فهم كتاب الله تعالى، الفهم السليم هو غاية كل مسلم، والذي يساعد عليه هو حسن تفسيره، بما يبين مقاصده، ويوضح معانيه[2]، وقد عرفه الإمام محمد عبده[3]، بقوله: التفسير الذي نطله هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلي ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة، فإن هذا هو المقصد الأعلى منه، وما وراء هذا من المباحث تابع له وأداة أو وسيلة لتحصيله[4].

وهذا المنهج، لا يتوسع فيه من الجوانب اللغوية، أو البلاغية، أو الفلسفية، أو الكلامية، أو الكونية، أو الإرشادية، وإنما يركز فيه علي تفسير القرآن من حيث هو هدي، وأما الإكثار في أي جانب من الجوانب

(١) شرح المفصل للزمخشري، ليعيش بن علي بن علي بن يعيش (٤٦١/٣) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢ه – ٢٠٠١م.

(٢) كيف نتعامل مع القرآن، يوسف القرضاوي ص ٢١٧

(٣) هو محمد بن عبده بن حسن خير الله، مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد، ومن رجال القضاء، من مؤلفاته: رسالة التوحيد، توفي بالإسكندرية، ودفن بالقاهرة ١٩٠٥م. **ينظر:** الأعلام للزركلي (٣٥٣/٦) دار العلم للملايين.

(٤)**ينظر:** مقدمة تفسير المنار، لمحمد عبده و رشيد رضا (١٧/١) الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر ١٩٩٠م، واتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، لمحمد إبراهيم شريف ص ٢٣٢

السابقة، فإنه – كما يقول الإمام محمد عبده –: تخرج بالكثير عن المقصود من الكتاب الإلهي، ويذهب بهم في مذاهب تنسيهم المعنى الحقيقي، لهذا كان الذي نعتني به من التفسير هو فهم الكتاب من حيث هو دين، وهداية من الله للعالمين، جامعة بين بيان ما يصلح به أمر الناس في هذه الحياة الدنيا وما يكونون به سعداء في الآخرة(١).

وهذا المصطلح كثر استخدامه وتداوله بين الباحثين، فهذه رسالة ماجستير في كلية دار العلوم بالقاهرة للباحث: سيد محمود محمد، وإشراف الدكتور/ محمد إبراهيم شريف(٢)، بعنوان: الاتجاه الهدائي في التفسير في العصر الحديث(٣)، والمشرف نفسه في كتابه: (اتجاهات التجديد) اعتبر التفسير الهدائي أحد الاتجاهات الحديثة في تفسير القرآن(٤)، وهناك رسالة بعنوان: الاتجاه الهدائي في التفسير في العصر الحديث معالمه، وأعلامه، للباحث المغربي: الوثيقي عبد الرحمن(٥).

وإذا كان من أهم معالم التفسير الهدائي، تجلية هدايات القرآن، وتوصيلها إلي القلوب والعقول، فإن الإمام الخضر حسين قد قام تفسيره علي إظهار هداية الآيات، وعلاجها لمشكلات الحياة، يقول في تحديد التفسير الصحيح: إن الاقتصار في تفسير ألفاظ القرآن علي ما يقتضيه

(١) مقدمة تفسير المنار (١٨/١)

(٢) هو محمد إبراهيم شريف ، ولد سنة ١٩٤٥م، وتخرج في كلية دار العلوم سنة ١٩٦٧م، ثم حصل علي الدكتوراه سنة ١٩٧٨م، ثم تولى رئاسة قسم الشريعة بكلية دار العلوم، وأشرف علي العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه، وناقش منها، من مؤلفاته: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، وتوفي ١٥ مايو سنة ٢٠١٦م. **ينظر:** موقع الأستاذ الدكتور محمد حمامة، تحت عنوان: سير الأعلام.

(٣)لم أوفق في لاطلاع عليها، وقد عرفت عنوانها من موقع شبكة المعلومات الجامعية.

(٤)**ينظر:**اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، لمحمد إبراهيم شريف ص ٢٣٩

(٥)وهي قيد التحضير، **ينظر:** موقع الأطروحات المغربية طور التحضير.

استعمالها العربي، يكفي لتقويم العقول، وتزكية النفوس، وإرشادها إلي وجوه الإصلاح الذي تُدرك به السعادة في الآخرة والأولى[١].

ثم بين الغايات التي ينبغي للمفسر أن يتطلع إليها، فيقول: وننظر بعد هذا في الأهداف التي يتجه إليها المفسر، فنقول: أنزل القرآن لمعنيين ساميين، أولهما: هداية البشر إلي سبل السعادة في الحياتين الدنيا والآخرة، وثانيهما: دلالته علي صدق الرسول فيما ادعاه من الرسالة التي هي مطلع تلك الهداية العامة، فكان أعظم معجزة وأخلدها علي وجه الأرض، فمن أراد تفسير القرآن فليتجه إلي وجوه الهداية التي أرشد إليها من نحو العقائد، والعبادات، والأخلاق، والأدب، وأحكام المعاملات.

وقد تفاوتت آراء المفسرين في البحث عن وجوه هدايته، ووجوه إعجازه علي قدر تفاوتهم في العلم والفهم، وتجاوز قوم حدود هذين الهدفين، وأطلقوا لأقلامهم العنان، فاستطردوا في التفسير إلي مباحث لا يتوقف عليها فهم القرآن من حيث أنه هداية، أو مباحث لا يحتاج إليها في تقرير وجه من وجوه إعجازه، وإنما هي مسائل ترجع إلي علوم أخرى مستقلة بنفسها[٢]، وآثار الإمام التفسيرية شاهدة علي أنه قد التزم بهذين الهدفين لم يحد عنهما.

(١)بلاغة القرآن، للخضر حسين، ص ٢٧، طبعة دار النوادر، سوريا، لبنان، الكويت.
(٢)بلاغة القرآن، للخضر حسين، ص ٢٨

المطلب الثالث: علاقة الجانب الهدائي بالتفسير.

العلاقة بين الجانب الهدائي وبين التفسير علاقة وثيقة، ولتوضيح ذلك لا بد من بيان معنى التفسير.

فالتفسير في اللغة: مأخوذ من الفَسْرُ، وهو البيان، فَسَرَ الشيءَ يفسِرُه بالكسر، وتَفْسُره بالضم، فسْراً، وفسَّرَه: أبانه. والفَسْرُ: كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل(١).

أما في الاصطلاح، فقد اختلفت آراء العلماء في تحديد معنى التفسير، فعرفه ابن جزي(٢)، بأنه شرح القرآن، وبيان معناه، والإفصاح عما يقتضيه، بنصه أو إشارته أو نحوهما(٣).

– وعرفه أبو حيان(٤) بأنه: علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حال التركيب، وتتمات ذلك(٥).

---

(١) **ينظر:** لسان العرب، لابن منظور (٥٥٥/٢) مادة فسر، دار صادر – بيروت – الطبعة الأولى.

(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد بن جزي أبو القاسم الكلبي، إمام مقرئ مفسر ولد سنة ٦٩٣ بغرناطة، اشتغل بالعلم والتحصيل، من مؤلفاته: التسهيل في علوم التنزيل، وفي التفسير: تقريب الوصول إلي علم الأصول، توفي سنة ٧٤١ه. ينظر ترجمته في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني (١٦٥/٤)دار الجيل – بيروت.

(٣) **ينظر:** التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٦/١) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥ه – ١٩٩٥م.

(٤) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أبو حيان الأندلسي الغرناطي، شيخ النحاة، العلم الفرد، ولد سنة أربع وخمسين وستمائة، كان إمام منتفعاً به، اتفق أهل عصره علي تقديمه وإمامته، من تصانيفه: البحر المحيط في التفسير، توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة. **ينظر:** طبقات المفسرين لمحمد بن علي شمس الدين الداودي (٣٨٧/٢) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، وطبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأدنه وي (ص ٣٨٧، ٣٨٨) الناشر: مكتبة العلوم والحكم – السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٧ه – ١٩٩٧م.

(٥) **ينظر:** البحر المحيط لأبي حيان (٢٦/١) دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ه.

– وعرفه الزركشي[1] بتعريفين مختلفين، يقول في أحدهما: علم يُعرفُ به فَهْمُ كتاب الله المنزل علي نبيه محمد (ﷺ)، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحِكَمِهِ[2]، ويقول في ثانيهما: هو علم نزول الآية، وسورتها وأقاصيصها، والإشارات النازلة فيها ،ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها، وخاصه او عامها ،ومطلقه أو مقيدها ، ومجملها ومفسرها، وزاد فيها قوم ، فقالوا: علم حلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها.

فالعلماء لم تتفق كلمتهم علي بيان معنى التفسير، ولعل سبب ذلك – والله أعلم– أنهم لم يتفقوا علي تحديد دور المفسر وبيان مهمته في التفسير، فاعتبر بعضهم أن مهمة المفسر، الإفصاح عن الإشارات التي استنبطت من النص – كما ذهب إليه ابن جزي – واعتبر بعضهم أن من مهمته الإلمام بعلوم كثيرة – كما ذهب إليه أبو حيان والزركشي– كما أنهم أدخلوا في معنى التفسير علوماً هي أقرب إلي علوم القرآن منها إلي التفسير، مثل أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه.

والمتأمل في المعنى اللغوي لكلمة تفسير يظهر له أنها تعني: البيان، فالأصل في التفسير هو: بيان معاني القرآن الكريم، وما يذكر بعد بيان المعاني من معلومات فإنها ليست من صلب التفسير، ما دام

(١) محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، الموصلي، بدر الدين، ولد في سنة خمس وأربعين وسبعمائة، ألف تصانيف كثيرة في عدة علوم، من أشهرها: البرهان في علوم القرآن، توفي سنة أربع وتسعين وسبعمائة. **ينظر:**طبقات المفسرين للداوني (١٦٢/٢)، وطبقات المفسرين للأدنه وي، ص ٣٠٢

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢١٤٨) تحقيق: أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي ١٣٧٦ه – ١٩٥٧م.

لم يكن لها أثر مباشر في إظهار المعني. وقد نبه إلي ذلك بعض المفسرين، فهذا ابن عطية الأندلسي[١]، يقول عند تفسير قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [٢]،وطلاق النساء: حل عصمتهن، وصور ذلك وتنويعه مما لا يختص بالتفسير[٣].

وهذا أبو حيان: يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[٤]،وقد تعرض الزمخشري هنا لذكر فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً، وليس ذلك من علم التفسير، وإنما هو من فوائد التفصيل والتسوير[٥].

ولعل التعريف الأقرب – والله أعلم – لمعنى التفسير، ما ينبئ عنه المعنى اللغوي لكلمة تفسير، هو بيان معاني القرآن[٦]، وهذا لا ينفي قيمة هذه المعلومات التي ملئت بها كتب التفسير، بل لها قيمتها ولها وزنها، لكن تأتي في المرتبة بعد بيان المعاني، ولذا لو أخذت مجموعة من الآيات وقرأتها في عددٍ من التفاسير، فإنك ستجد اتفاقها

(١) هو الإمام عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية، قدوة المفسرين، كان واسع المعرفة، يتوقد ذكاءً، من أشهر تصانيفه: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، توفي سنة ست وأربعين وخمسمائة. **ينظر:**طبقات المفسرين، لجلال الدين السيوطي (٦٠/١)، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٣٩٦ه، طبقات المفسرين للداودي (٣٦٥/١)، وطبقات المفسرين للأدنه وي، ص ١٧٥، ١٧٦

(٢) سورة الطلاق: جزء من الآية ١

(٣)**ينظر:** المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٥/ ٣٦٩)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣ه – ١٩٩٣م.

(٤) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٣

(٥)**ينظر:** تفسير البحر المحيط، لأبي حيان (٨٤/١)، دار الفكر.

(٦)**ينظر:** أصول في التفسير، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص ٢٣، المكتبة الإسلامية، عين شمس الشرقية – القاهرة- الطبعة الأولى ١٤٢٢ه – ٢٠٠١م، ومفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، لمساعد الطيار، ص ٥٤، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع – الطبعة الثانية ١٤٢٧ه.

في المعلومات المتعلقة بالبيان، وإن اختلفت في طريقة عرضها، وفي تحديد الوجه المراد بالآية، وطريقتها في الترجيح، ثم ستجد أن كل مفسر يتميز بمعلومات لا تجدها عند الآخر، وهذه المعلومات لا حصر لها، فقد تكون في علم اللغة، أو علم النحو، أو علم الصرف، أو البلاغة، أو الفقه، أو الحديث، أو علوم أخرى[١].

وعلى هذا فالجانب الهدائي يأتي في مرحلة تالية بعد التفسير الذي هو بيان المعاني، فصاحب الجانب الهدائي لا بد أن يبدأ ببيان معاني الآية، ثم يأتي بعد ذلك مرحلة الهدايات والفوائد والإرشادات[٢]، فالتفسير هو الأصل، والجانب الهدائي مستخرج من التفسير.

ويمكن التمثيل علي ذلك من تفسير ابن كثير، يقول عند تفسيره لقول الله تعالى:﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾[٣]،أي: الملائكة خلقه مكري محسن شريف ، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة. ومنها هنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد[٤]، فقوله: خلقهم كريم...، تفسير أي بيان للمعنى، وقوله: ومن ها هنا ينبغي...، استنباط هدائي من المعنى، والله أعلم.

(١)مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، لمساعد الطيار، ص ٧٢، ٧٣، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ١٤٢٧ه.
(٢) الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، لمجموعة من الباحثين، (٥٣/١، ٥٤) مكتبة دار المتنبي، الطبعة الأولى.
(٣) سورة عبس: الآية ١٦
(٤) تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، (٣٢١/٨) دار طيبه للنشر والتوزيع، ١٤٢٠ه – ١٩٩٩م.

المطلب الرابع: موقف المفسرين من الجانب الهدائي.

المتأمل لكتب التفسير يجد أنها غنية باستطرادات علمية تتعلق بعلوم القرآن، وباللغة، وبالبلاغة، وبالأصول، وغير ذلك، بالإضافة إلي أن من برع في فن من فنون العلم، يكاد يقصر تفسيره علي الفن الذي برع فيه، فيؤثر على اتجاهه في كتابة تفسيره، ويكثر من إيراد المسائل المتعلقة به[١]، ومع ذلك تجد فيها الاستنباطات الهدائية منثورة، فالمفسرون لم يتوسعوا فيها، فلم تكن المقصد الأول عندهم من التأليف، فكل كتاب من كتب التفسير المعتمدة عند العلماء، لا شك أن فيها من الجوانب الهدائية حتى وإن لم تكن بارزة علي اختلاف اتجاهاتها، فمثلاً:

– الطبري[٢]، يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [٣]، بعد ذكره لآراء السلف في معنى الخشوع، قد بينا أن الخشوع: التذلل والخضوع... أي: والذين هم في صلاتهم متذللون لله بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته، وإذا تذلل لله فيها العبد، رؤيت ذلة خضوعه في سكون أطرافه، وشغله بفرضه، وتركه ما أمر بتركه[٤].

– والبغوي[٥]، يقول عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[٦]، وفيه دليل علي أنه

---

(١) التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي، (١٣٤/١)، الناشر: مكتبة وهبة القاهرة.

(٢) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، أبو جعفر، رأس المفسرين علي الإطلاق، له تصانيف عظيمة، من أشهرها تفسيره المسمى: جامع البيان في تأويل القرآن، توفي سنة ٣١٠هـ. **ينظر:** طبقات المفسرين للداودي (١١٠/٢)، وطبقات المفسرين للأدنه وي، ص ٤٨، ٤٩

(٣) سورة المؤمنون: الآية ٢

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، (٩/١٩)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

(٥) هو الحسين بن مسعود بن محمد، العلامة البغوي، يلقب بمحي السنة، وبركن الدين، كان إماماً في التفسير، وإماماً في الفقه، وله تصانيف، منها: معالم التنزيل في التفسير، وشرح السنة، مات في شوال سنة ست عشرة وخمسمائة، وقد جاوز الثمانين. **ينظر:** طبقات المفسرين للسيوطي (٥/١)، طبقات المفسرين للداودي (١٦١/١)

(٦) سورة الأنفال: الآية ٤

ليس لكل أحد أن يصف نفسه بكونه مؤمناً حقاً؛ لأن الله –تعالى– إنما وصف بذلك قوماً مخصوصين، علي أوصاف مخصوصة، ولكل أحد لا يتحقق وجود تلك الأوصاف فيه[١].

– ويقول الرازي[٢] عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[٣]، الصوم يورث التقوى؛ لما فيه من انكسار الشهوة، وانقماع الهوى، فإنه يردع عن الأشر والبطر ، والفواحش ، ويهون لذات الدنيا ورئاستها، وذلك لأن الصوم يكسر شهوة البطن والفرج، وإنما يسعى الناس لهذين ، كما قيل في المثل السائر: المرء يسعى لعارية بطنه وفرجه [٤] ، فمن أكثر الصوم هان عليه أمر هذين ، وخفت عليه مؤنتهما ، فكان ذلك رادعا له عن ارتكاب المحارم والفواحش ، ومهونا عليه أمر الرياسة في الدنيا ، وذلك جامع لأسباب التقوى[٥].

(١) معالم التنزيل (تفسير البغوي) الحسين بن مسعود البغوي، (٠٠/٣)، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤١٧ه – ١٩٩٧م.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، الإمام فخر الدين الرازي، إمام المتكلمين، وأوحد زمانه في المقول والمنقول، ولد بالري ٥٤٤ه، وتوفي ٦٠٦ه، من تصانيفه: مفاتيح الغيب. **ينظر ترجمته في:** طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، دار النشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٣ه.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٣

(٤) هكذا في تفسير الرازي، العارية بالعين المهملة، وهي في اصطلاح المنطق لابن السكيت السكيت ص ٣٩٦، طبعة دار المعارف، الرابعة١٩٤٩، بالغين، وكذلك في الصحاح (٣٣٨/٣)، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٤٥٣/٢)، وتهذيب اللغة (٥٩/٣)، ولسان العرب (٣٤/٥)، بالغين، وهما البطن والفرج، ولعل ذكرها في تفسير الرازي بالعين المهملة خطأ من النساخ أو خطأ من الطباعة.

(٥)**ينظر:** تفسير الفخر الرازي (٦٠/٥)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢١ه – ٢٠٠٠م.

– ويقول ابن كثير[١] عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾[٢]، عن الحسن[٣] قال: إن المؤمنين قوم ذُلُل ، ذلتمنهم –والله –الأسماع والأبصار والجوارح ، حتى تحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ، وإنهم لأصحاء ، ولكن هم دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة ، فقالوا: الحمد لله الذي أذهب عن االحزن. أما والله ما أحزنهم حزن الناس، ولاتعاظم في نفوسهم شيء طلبوا به الجنة ، أبكاهم الخوف من النار ، وإنه من لم يتعز بعزاء الله تقطع نفسه على الدنيا حسرات ، ومن لم ير لله نعمة إلا فيمطع مأو في مشرب ، فقد قل علمه وحضر عذابه[٤].

– ويقول أبو السعود[٥] عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[٦]، "أولئك" إشارة إلى الذين حكيت خصالهم الحميدة ، وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك أكمل تميز ، وما فيه من

(١)هو أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، قال عنه الذهبي: إمام محدث مصنف بارع، من مصنفاته: البداية والنهاية في التاريخ، وتفسير القرآن العظيم، ولد سنة ٧٠٠، وتوفي ٧٧٤ه، ينظر: طبقات المفسرين للأدنه وي، ص٢٦١

(٢) سورة الفرقان: الآية ٦٣

(٣) هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، تابعي، كان إمام أهل البصرة، وهو أحد العلماء العظماء الشجعان البسال، ولد سنة ٢١ه، وتوفي سنة ١١١ه، **ينظر:** الأعلام للزركلي (٢٦٦/٢)

(٤)**ينظر:** تفسير ابن كثير (١٢٢/٦)

(٥) هو الإمام محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، ولد في قرية قرب القسطنطينية سنة ٨٩٨ه، ٨٩٨ه، ملقب بشيخ الإسلام، والمولى المعظم، والإمام الكبير، ومفتي السلطان، من مؤلفاته: إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم (تفسيره المشهور)، والفتاوى، وقد رتبها علي أبواب الفقه، توفي سنة ٩٨٢ه بالقسطنطينية. **ينظر ترجمته في:** شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، نشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦ه – ١٩٨٦م.

(٦) سورة البقرة: الآية ٥

معنى البعد للإشعار بعلو درجتهم ، وبعد منزلتهم في الفضل ، "على هدى" خبر هو ما فيه من الإبهام المفهوم من التنكير لكما لتفخيمه كأنه قيل على أيهدى ، هدى لا يبلغ كنهه ، ولا يقادر قدره وإيراد كلمة الاستعلاء (على) بناء على تمثيل حالهم في ملابسته مبال هدى، بحال من يعتلي الشيء ويستولى عليه ، بحيث يتصرف فيه كي فما يريد[١].

- ويقول الألوسي[٢]عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[٣] ، ومعنى نهيها إياهم عن ذلك : أنها لتضمنها صنوف العبادة من التكبير، والتسبيح ، والقراءة والوقوف بين يدي الله – عز وجل – والركوع والسجود له سبحانه الدال على غاية الخضوع والتعظيم ، كأنها تقول لمن يأتي بها لا تفعل الفحشاء والمنكر ، ولا تعص رباه وأهل لما أتيت به ، وكيف يليق بك أنت فعل ذلك ، وتعصيه – عز وجل – وقد أتيت مما يدل على عظمته – تعالى– وكبريائه سبحانه من الأقوال والأفعال ، بما تكون به إن عصيت ، وفعلت الفحشاء أو المنكر كالمتناقض في أفعاله[٤].

(١)**ينظر:** إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود)، (٣٣/١) دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) هو محمد بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء، مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، له مؤلفات كثيرة، من أشهرها: تفسير روح المعاني. **ينظر:** الأعلام للزركلي (١٧٧/٧)

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٤٥

(٤) تفسير الألوسي، (١٦٢/٢٠) دار إحياء التراث العربي.

المطلب الخامس: صيغ الجانب الهدائي عند الخضر حسين.

عبر الخضر حسين عن كشف واستخراج بعض الهدايات والإرشادات في الآيات القرآنية علي وجه يجذب الروح ويحفزها إلي العمل بصيغ مختلفة، وتعبيرات متنوعة، وقد أحصيت بفضل الله – تعالى– هذه الصيغ، فوجدتها بلغت ست عشرة صيغة:

١ –صيغة: (والمراد من الآية)

يقول الخضر حسين عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾[١]، الإنعام: إيصال الخير إلي الأحياء العقلاء، والمراد في الآية: الإنعام الديني بالمنعم عليهم من عرفوا الحق فتمسكوا به، والخير فعملوا به[٢].

فالشيخ هنا قيد الإنعام بالديني، بيد أن اللفظ في الآية لا يدل علي التقيد، ولعل الأولى – والله أعلم – العموم، فنعم الله –تعالى– لا تحصى ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[٣]، يقول أبو السعود: وإطلاق الإنعام، لقصد الشمول، فإن نعمة الإسلام عنوان النعم كلها، فمن فاز بها فقد فاز بحذافيرها[٤]، ويقول أبو زهرة[٥] عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾[٦]،النعمة هنا تفسر بأنها المنفعة

(١) سورة الفاتحة: الآيتان٦، ٧
(٢) أسرار التنزيل، ص١١
(٣) سورة النحل: الآية ١٨
(٤) تفسير أبي السعود، (١٨/١)
(٥) هو محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة، ولد بالمحلة الكبرى التابعة لمحافظة الغربية بمصر سنة ١٨٩٨م، تخرج في مدرسة القضاء الشرعي، وتخرج أيضاً في دار العلوم، ويعد من الفقهاء الثقات، من مؤلفاته: القرآن المعجزة الكبرى، محاضرات في النصرانية، توفي سنة ١٩٧٤. ينظر ترجمته في: المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، كتاب إلكتروني في ملتقى أهل الحديث، ولا يوجد مطبوعاً.
(٦) سورة الفاتحة: جزء من الآية ٧

التي تدوم ويستطيبها القلب سواء كانت عاجلة أم آجلة، وسواء كانت دنيوية أم أخروية، وسواء كانت مادية أم روحية[١].

٢- تعبير: (وجاء في صيغة)

يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٢]، التواب: وصف له تعالى من تاب، أي: قبل التوبة، ووجاء في صيغة (فَعَّال)، ليدل علي كثرة قبوله -تعالى- للتوبة من عباده، ويدل علي أنه يقبل توبة العبد، وإن وقعت بعد ذنب يرتكبه، ويتوب منه ثم يعود إليه بعد التوبة، ثم يتوب بعد العودة إليه توبة نصوحاً [٣]، وليس صيغة (فَعَّال) فقط التي جاءت في الجملة، فقد أضيف إليه صيغة فعيل، في قوله "الرحيم" فكأن الله -تعالى- أراد أن يطمع عباده في رحمته بهذه المؤكدات التي جاءت في الجملة، إن، والجملة الإسمية، وضمير الفصل، وصيغ المبالغة[٤].

٣- صيغة: (ويستفيد منها)

بعد أن ذكر الشيخ تفسير آيات قصة آدم -عليه السلام- الواردة في سورة البقرة، استخلص منها بعض الهدايات، فقال: ويستفيد منها المتقلب في نعمة يغبط عليها، أن مخالفة ما أمر الله -تعالى- به قد تكون سبباً لزوال النعمة، وذلك ما يدعوه إلي تحصينها بالتزام الطاعة في كل حال[٥]، وقد استنبط الشيخ هذه الاستفادة من قوله تعالى: ﴿وَقُلۡنَا

(١) زهرة التفاسير (٦٩/١)، طبعة دار الفكر العربي.
(٢) سورة البقرة: الآية ٣٧
(٣) أسرار التنزيل، ص ٧٢
(٤) البلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها، لعبد الرحمن الميداني، ص٥٥٤
(٥) أسرار التنزيل، ص ٧٨

﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[١]، ويؤكد هذه الاستفادة قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾[٢].

٤ – صيغة: (توجيه اللفظ)

يقول عند قوله تعالى:﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [٣]، ووجه كون الصبر معيناً علي تلقي الأوامر بحسن الطاعة، هو أن يتربى بالنظر في عواقب الأمور، ومن رسخت قدمه في هذا الشأن وأصبح يقيس الأعمال بعواقبها، وما يترتب عليها من آثار يحمدها، تضاءلت أمامه المصاعب، ولم يقف به عن العمل ما يلاقيه في سبيله من مشقة[٤]، ولأن الصبر الحقيقي المبني علي التسليم، يحصل بتذكر وعد الله –تعالى– بالجزاء الحسن للصابرين على أعمال البر التي تشق علي النفس، وعلي الشهوات المحرمة التي تصبوا إليها، ويتذكر أن المصائب من فعل الله –تعالى–، وتصرفه في خلقه، فيجب الخضوع له والتسليم لأمره، ومن عجيب أمر هذا الصبر، أنه يقي الإنسان من الخسران متى حَسُنَ عمله، كما يقيده سورة العصر[٥]: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [٦].

(١) سورة البقرة: جزء من الآية ٣٦
(٢) سورة إبراهيم: الآية ٧
(٣) سورة البقرة: الآية ٤٥
(٤) أسرار التنزيل، ص ٨٨
(٥) تفسير المنار، (٣٤٨/١)
(٦) سورة العصر: الآيات ١، ٢، ٣

٥- صيغة: (ومأخذ العبرة)

يقول عند قوله تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾[١]، ومأخذ العبرة من الآية أن من أمره الله -تعالى- بأن يقول قولاً، فترك القول الذي أُمر به، وأتى بقول آخر مكانه، يدخل في قبيل الظالمين، ويتعرض بنفسه لأن يصيبه عذاب أليم، ومثل القول في مجرى القياس الصحيح: الفعل، فمن أمره الله -تعالى- بأن يفعل شيئاً، فترك الفعل الذي أمر به، ووضع مكانه فعلاً لم يأذن به الله، عُدَ ظالماً، واستحق العذاب الذي وعد الله -تعالى- بأن يصبه علي رؤوس الظالمين، وكلا المغيرين لما أمر الله -تعالى- به من قول أو فعل ضال مستحق لأن يكون مصيره سوء العذاب[٢]، ولذلك جاء إظهار القول، دون أن يقال: فبدلوه، لدفع توهم أنهم بدلوا لفظاً مخصوصاً، وامتثلوا ما عدا ذلك، لأنه لو كان كذلك لكان الأمر هيناً[٣]، وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة[٤].

يقول القرطبي: لما قيل لهم "قولوا حطة"، فقالوا: حنطة... زادوا حرفاً واحداً، فلقوا من البلاء ما لقوا، تعريفاً أن الزيادة في الدين، والابتداع في الشريعة، عظيمة الخطر شديدة الضرر، هذا في تغيير كلمة، هي عبارة عن التوبة، أوجبت كل ذلك من العذاب، فما ظنك بتغيير ما هو من صفات المعبود، هذا والقول نقص من العمل، فكيف بالتبديل والتغيير في الفعل[٥].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٥٩
(٢) أسرار التنزيل، ص ٢١٢
(٣) التحرير والتنوير، (٥١٦/١)
(٤) تفسير ابن كثير، (٢٧٧/١)
(٥) تفسير القرطبي (٤١٥/١)، الجامع لأحكام القرآن – دار الكتب المصرية – ١٩٦٤م.

٦- صيغة: (ونبهت الآية)

يقول عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[١]، ونبهت الآية علي أن الاستهزاء بأمر من أمور الدين جهل كبير، ومن الجهل ما يلقي صاحبه في أسواء العواقب، ويقذف به في عذاب الحريق، ومن هنا منع المحققون من أهل العمل استعمال الآيات كأمثال يضربونها في مقام المزح والهزل، وقالوا: إنما أنزل القرآن ليتلى بتدبر وخشوع، وقصد إلي المحافظة علي العمل به[٢]، ولذلك لم يستعذ موسى –عليه السلام– من نفس الشيء الذي (الاستهزاء)، وإنما استعاذ من السبب الموجه له (الجهل) [٣]، فالاستهزاء بالدين والتمثل به في مقام الهزل من الكبائر العظام، يقول الفخر الرزي: جرت عادة الناس بأن يتمثلوا بهذه الآية: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[٤]، عند المتاركة، وذلك غير جائز؛ لأنه تعالى ما أنزل القرآن ليتمثل به، بل ليتدبر فيه، ثم يعمل بموجبه[٥]، بل إن التمثل التمثل بالقرآن علي سبيل الاستهزاء مفضٍ إلي الكفر، والعياذ بالله ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾[٦].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٦٧
(٢) أسرار التنزيل، ص ١٢٨
(٣) تفسير الرازي، (٤٦٥/١)
(٤) سورة الكافرون: الآية ٦
(٥) تفسير الرازي، (١٣٧/٢٢)
(٦) سورة التوبة: الآيتان ٦٥، ٦٦

٧- صيغة: (ويدخل في المعنى)

يقول عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾[١]، الديار: جمع دار، وهي المسكن، والمعنى: لا يخرج بعضكم بعضاً من مساكنهم، ويدخل في معنى الإخراج من الديار: أن يتصدى الرجل لإيذاء جاره حتى يلجئه إلي الخروج من داره، تخلصاً من شره، وقال: " ولا تخرجون أنفسكم " فجعل إجلاءهم غيرهم من مساكنهم إجلاء لأنفسهم، فنبه بذلك علي أن الآية المتواصلة بالدين، أو النسب بالغة من الوحدة، بحيث يعد قتل الرجل لغيره إنما هو قتل لنفسه، وإخراجه من منزله إنما هو إخراج لنفسه[٢]، فالآية تشير إلي أن الأمة بمنزلة الشخص الواحد، فالتعامل فيما بينها كتعامل الشخص لنفسه، روي عن النعمان بن بشير[٣] عن النبي (ﷺ) قال: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمَّى"[٤].

فليس مراد النهي في الآية عن أن يخرج الإنسان نفسه من داره؛ لأن مثل هذا مما يزع المرء عنه وازعه الطبيعي، فليس من شأن الشريعة الاهتمام بالنهي عنه[٥]، لذلك فالشيخ الخضر جعل من معاني

---

(١) سورة البقرة: الآية ٨٤

(٢) أسرار التنزيل، ص ١٥٣

(٣) النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري الخزرجي، هو أول مولود ولد للأنصار بعد قدوم النبي (ﷺ)، وأمه عمرة بن رواحة، أخت عبد الله بن رواحة، مات سنة ست وثلاثين. **ينظر ترجمته في:** تهذيب الكمال، يوسف الزاكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، (٤١٦/٢٩)، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق: بشار عواد، الأولى ١٤٠٠ه – ١٩٨٠م.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: البر والصلة والأدب – باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

(٥) التحرير والتنوير، (٤٤٣/١)

الإخراج: الإساءة إلي الجار حتى يضطره إلي ترك مسكنه بسوء جواره[١].

٨- **صيغة: (وفي الآية تنبيه)**

يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٢]، راعنا: من المراعاة، وهي المراقبة والانتظار والإمهال، كره الله –تعالى– أن يخاطب نبيه بهذه الكلمة، وإنما كرهها إذا لحقها وجه من المفسدة، هو أن المسلمين كانوا يقولون: يا رسول الله راعنا؛ أي: راقبنا وأمهلنا حتى نتمكن من حفظ ما تلقيه لنا، فسمعتهم اليهود، فصاروا يقولون: يا أبا القاسم! راعنا، يوهمون أنهم يريدون طلب المراعاة، وهم يريدون معنى اسم الفاعل من الرعونة التي هي الحمق، فنهى الله –تعالى– المسلمين عن استعمال تلك الكلمة في خطاب النبي(ﷺ) حتى لا تتخذها اليهود وسيلة إلي إذاية النبي(ﷺ) بالسب والتنقيص.

وقولوا انظرنا: أمر المسلمين أن يقولوا مكانها: انظرنا، وهي من النظر بمعنى انتظر، تقول: نظرت الرجل نظرة، إذ انتظرته وارتقبته[٣]، وبهذا المعنى ورد قوله تعالى﴿ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ ﴾[٤]، وفي الآية تنبيه لأدب جميل هو أن الإنسان يتجنب في مخاطباته الألفاظ التي توهم

(١) وقد ذهب إلي هذا البغوي، وأبو حيان، **ينظر تفسيري:** البغوي (١١٧/١)، وأبي حيان، (٤٥٧/١)

(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٤

(٣)**ينظر:** تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، (٣٥٥/١٤) مادة نظر، دار الهداية.

(٤) سورة الحديد: جزء من الآية ١٣

جفاء، أو تنقيصاً في مقام يقتضي إظهار مودة أو تعظيم[١]، وقد ذكر القرطبي هذ الاستنباط الهدائي في تفسيره، حيث قال: في هذه الآية دليلان: أحدهما: تجنب الألفاظ المحتملة التي فيها التعريض للتنقيص والغض، والثاني: التمسك بسد الذرائع [٢]، يقصد الأخذ بسد ذرائع فساد الفهم، وما يؤدي إلي الغمز في القول، وإخراج الكلام عن معناه، وتعدي مقصده[٣].

والأصل في الكلام ومخاطبة الناس أن يكون بكلام حسن طيب، يقول الله تعالى: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[٤]، ويقول سبحانه: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[٥]، يقول أحد الباحثين [٦]: "أحسن" علي وجه الإطلاق، وفي كل مجال، فيختاروا أحسن ما يقال ليقولوه، بذلك يتقون أن يفسد الشيطان ما بينهم من مودة، فالشيطان ينزع بين الأخوة بالكلمة الخشنة ثقلت، وبالرد السيء يتلوها، فإذا جو المحبة والوفاق مشوب بالخلاف ثم بالجفوة ثم بالعداء[٧].

(١) أسرار التنزيل، ص ١٩١
(٢) تفسير القرطبي، (٥٧/٢)
(٣) زهرة التفاسير، (٣٤٧/١)، دار الفكر العربي.
(٤) سورة البقرة: جزء من الآية ٨٣
(٥) سورة الإسراء: الآية ٥٣
(٦) سيد قطب بن إبراهيم، ولد سنة ١٩٠٦م في أسيوط، تخرج في كلية دار العلوم ١٩٣٤م، وعمل في جريدة الأهرام وكتب في مجلتي الرسالة والمقتطف، من مؤلفاته: في ظلال القرآن، توفي سنة ١٩٦٦م. **ينظر:** الأعلام للزركلي (١٤٧/٣)
(٧) ظلال القرآن، (٢٢٣٤/٤)

٩- صيغة: (ويؤخذ من الآية)

يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[١]، والآية وردت خطاباً للمدعي بالباطل، ومطالبة له بذكر الدليل على ما ادعى تبكيتاً وتعجيزاً، ويؤخذ من الآية: بطلان التقليد في أمور الدين، وهو قبول قول الغير مجرداً من الدليل، فلا ينبغي للإنسان أن يقرر رأياً في الدين إلا أن يسنده إلي دليل... [٢]، ويكفي في إيمان الشخص بأي دليل ينشرح به صدره، كأن يستمد إيمانه بالله من التنبيه لحكمة الله – تعالى- في إتقان المخلوقات... وأما في الأحكام العملية، فمن له قدرة علي فهم الأدلة ومعرفة الراجح من الأحكام لا يجوز له أن يتلقى الحكم من غيره إلا مقروناً بالدليل، وإن كان قاصراً عن هذه الدرجة أخذ بما يفتيه به العالم المشهود له بالرسوخ في علم الشريعة[٣]، ولقد ذكر هذا المأخذ من الآية الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية، حيث يقول: وهذا أهدم شيء لمذهب المقلدين. وأنّك لقول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت[٤]، وعلي هذا درج سلف هذه الأمة الصالح، وقالوا بالدليل، وطالبوا وطالبوا بالدليل، ونهوا عن الأخذ بشيء من غير دليل[٥].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١١١

(٢) **ينظر:** إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني، (٢٣٩/٢) طبعة دار الكتاب العربي.

(٣) أسرار التنزيل، ص ٦٤

(٤) الكشاف، (٣٠٤/١)

(٥) تفسير المنار، (٣٥٠/١)

١٠- صيغة: (وأفادت الجملة)

يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[١]، " أولئك هم الخاسرون" أفادت الجملة: أن الكافرين بالكتاب يختصون بالخسران، ولا يتعداهم إلي غيرهم ممن أخلصوا الإيمان به، فالكافرون هم الخاسرون في الدنيا، حيث لا يعيشون فيها عيش المؤمنين بحق، صدور منشرحة، ونفوس مطمئنة، وتأييد من الله -تعالى- يجعلهم منصورين علي من يناوئهم، وكذلك الإيمان الراسخ يفرغ علي القلوب صبراً يخف به وقع الخطوب ويذود عنها حرجاً لا يفارق صدر الكافر، ولو ملك رياسة قاهرة، والكافرون هم الخاسرون في الآخرة، إذ يفوتهم ما أعده الله للمؤمنين من نعيم دائم، ومقام كريم، ويخلدون بعد هذا الحرمان في عذاب مهين[٢].

تأمل الشيخ قوله تعالى: " أولئك يؤمنون به " ففيه اكتفاء عن التصريح بحكم المنطوق، وهو أن المؤمنين هم الرابحون، ففي الآية إيجاز بديع؛ لدلالتها علي أن الذين أوتوا الكتاب يتلونه حق تلاوته، هم المؤمنون دون غيرهم، فالمؤمنون به هم الفائزون والكافرون هم الخاسرون[٣]، وأي خسارة بعد خسارة الإيمان أعظم آلاء الله -تعالى- علي الناس في هذا الوجود[٤].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢١
(٢) أسرار التنزيل، ص ٢٢٢
(٣) التحرير والتنوير، (٣٨/٢)
(٤) ظلال القرآن، (٨٣/١)

١١ – صيغة: (وقد أرشدت الآية)

يقول عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[١]، وقد أرشدت الآية إلي أن الله –تعالى– يرزق الكافرين في الدنيا كما يرزق المؤمن، وإذا كان إمتاع المؤمن بالرزق لأنه أهل لأن ينعم عليه بكل خير، فلإمتاع الكافر بالرزق حِكم، منها: استدراجه المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٢]، ولو خص الله المؤمنين بالتوسعة في الرزق، وحرم منها الكافرين، لكان هذا التخصيص سائقاً للكافرين إلي الإيمان علي وجه يشبه الإلجاء، وقد قضت حكمته –تعالى– أن الإيمان اختيارياً، حتى ينساق إليه الإنسان من طريق النظر في أدلة عقلية يبصر بها أقوام ولا يبصر بها آخرون[٣].

فالشيخ استفاد هذه الهداية من رد الله –تعالى– علي سيدنا إبراهيم –عليه السلام– حين قيد دعاءه للمؤمنين﴿ وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾[٤]، بأن رزق الله –تعالى– شامل للمؤمن والكافر والعاصي والطائع، والله –تعالى– يقول: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٦
(٢) سورة الأعراف: جزء من الآية ١٨٢
(٣) أسرار التنزيل، ص ٢٣٢
(٤) سورة البقرة: جزء من الآية ١٢٦

رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴾[1]،قال الحسن البصري: كلا نعطي من الدنيا البر والفاجر[2]، فالله –سبحانه وتعالى– أراد أن يلفت نظر إبراهيم –عليه السلام– إلي أن عطاء الألوهية ليس كعطاء الربوبية، فإمامته للناس عطاء ألوهية لا يناله إلا المؤمن، أما الرزق فهو عطاء ربوبية يناله المؤمن والكافر؛ لأن الله –سبحانه وتعالى– استدعانا جميعاً إلي الحياة، وكفل لنا جميعاً رزقنا، وكأن الحق سبحانه حين قال: "لا ينال عهدي الظالمين" عن قيم المنهج التي لا تعطى إلا للمؤمن، ولكن الرزق يعطى للمؤمن والكافر[3].

١٢- صيغة: (ومن فوائد ذكر القصة)

يقول بعد تفسيره لقصة إبراهيم وإسماعيل –عليهما السلام– المذكورة في سورة البقرة، ومن فوائد ذكر هذه القصة: أن يقبل الناس علي الاقتداء بهذين الرسولين الكريمين في القيام بالطاعات الشاقة، وهم يضرعون إلي الله –جل شأنه– ويرجون منه قبولها[4]، فإبراهيم وإسماعيل –عليهما السلام– أقاما علي بناء البيت علي أتم وجه رغم ما في البناء نت المشقة والتعب، لكنهما كانا يستعينا علي هذه المشقة بالضراعة إلي الله –تعالى– وخاطبا ربهما في إحساس بالقرب منه قائلين: " إنك أنت السميع العليم" فقد عاشا في جو الدعاء الذي خفف عنهما المشقة، بل إنهما قد شعرا بحلاوتها في سبيل رضا الله سبحانه وتعالى.

(١) سورة الإسراء: الآيات ١٨: ٢٠
(٢) تفسير الطبري، (٤١١/١٧)
(٣) تفسير الشعراوي، (١٣٠/٢)
(٤) أسرار التنزيل، ص ٢٣٣، ٢٣٤

١٣ – صيغة: (والذي ترمي إليه الآية)

يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[١]، والذي ترمي إليه الآية: تحذير المخاطبين من أن يتركوا طاعة الله –تعالى– أو يتباطؤوا في سبيلها اتكالاً علي انتسابهم لآباء كانوا أنبياء أو صالحين، وقد جاء في الحديث الصحيح: " من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه "[٢]، فالإنسان يوم القيامة لا يسئل إلا عن كسبه، ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾[٣]، يقول أبو السعود: " لها ما كسبت ولكم ما كسبتم" تكرير للمبالغة في الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء والاتكال علي أعمالهم[٤].

١٤ – صيغة: (نقتبس من هذا)

يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٥]، لننظر في حال أولئك الرجال الذين كانوا قليلاً مستضعفين، غير آمنين علي حياتهم، فآواهم الله – تعالى– وأيدهم بنصره، ورزقهم من الطيبات، لعلنا نقف علي سنة من سنن الله في ما

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٤

(٢) أسرار التنزيل، ص ٢٤٣، والحديث جزء من حديث ذكره الإمام مسلم بلفظ: " من بطأ به عمله..." في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل الاجتماع علي تلاوة القرآن والذكر، يقول النووي في شرحه علي مسلم: معناه: من كان عمله ناقصاً، لم يلحقه بمرتبة أصحاب الأعمال، فينبغي ألا يتكل علي شرف النسب، وفضيلة الآباء، ويقصر في العمل. **ينظر:** شرح النووي علي مسلم، (٦٣/٩)

(٣) سورة النجم: الآيات ٣٩: ٤١

(٤) تفسير أبو السعود، (١٧٠/١)

(٥) سورة الأنفال: الآية ٢٦

يكون فيه القوم من ضعف وخوف، وبؤس وهوان علي الناس، وإمتاعهم بالقوة والأمن وطيب العيش، والانتصار علي العدو، نرى أولئك الرجال يؤمنون بالله إيماناً صادقاً، ويصبرون للبلاء يصيبهم في سبيل الحق، ولو اشتدت مرارته، وطال أمده، ويأبون أن يلقوا إلي الضالين أو الفاسقين بالمودة، ويحملون في صدورهم الرحمة والسخاء، وكانوا ينظرون إلي عدوهم بعين الحذر، ويأخذون بأسباب النجاة ما استطاعوا، إلي نحو هذا من الخصال التي هداهم إليها الكتاب الحكيم، فنقتبس من هذا أن سنة الله في القوم الذين يحتفظون بهذه الخصال أن يجعلهم في أمن ومنعة وعزة، وعيشة راضية، ولا عجب أن نرى المسلمين اليوم في كثرة، وهم فيما نرى ونسمع من استضعاف، فقد أضاعوا جانباً عظيماً من الخصال التي تقوم عليها سنة الله في تخليص القوم من عدو يضع يده فوق أيديهم[١].

نعم وقد ذكر الطبري[٢] هذه الهداية، يقول عند تفسيره لهذه الآية: بالإسلام مكن به في البلاد، ووسع به في الرزق، وجعلكم به ملوكاً علي رقاب الناس، فبالإسلام أعطى الله –تعالى– ما رأيتم فاشكروه علي نعمه، فإن ربكم منعم يحب الشكر، وأهل الشكر في مزيد من الله تبارك وتعالى[٣]، وقد خاطبهم الله –تعالى– بهذا الخطاب: " واذكروا "، " فآواكم وأيدكم "، " ورزقكم" بعد أن وصفهم في الآية السابقة بالذين ءامنوا،

(١) أسرار التنزيل، ص ٢٠٣، ٢٠٤

(٢) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، صاحب التفسير الكبير، والتاريخ الشهير، له مصنفات مليحة في فنون عديدة، تدل علي سعة علمه وغزارة فضله، وكان من الأئمة المجتهدين، توفي سنة ٣١٠ه ببغداد. **ينظر:** وفيات الأعيان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، (١٩٢/٤)، دار صادر - بيروت.

(٣) تفسير الطبري، (٤٧٩/٣)، لابن جرير الطبري، مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٢٠ه – ٢٠٠٠م.

إيماءً إلي أن الإيمان هو الذي ساق لهم هذه الخيرات كلها، وأنه سيكون له أثره فيهم كلما احتفظوا عليه[١].

١٥ – صيغة: (وموضع العبرة)

يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[٢]، هذا تسلية لرسول الله (ﷺ) عما كان المشركون يؤذونه به من أقوال جافية... وأطلق القول ليتناول كل ما يتفوهون به في حقه من المقالات الخاطئة، وموضع العبرة من هذا أن يقف الداعي إلي الحق موقف العزم والثبات، فلا يقيم لما يقولوه الذامون أو المتهكمون به وزنا، ويضرب به وراء أذنه، ونرى ضعيف الإيمان بما يدعوا إليه هو الذي يحزن لأقوال المبطلين حزناً يثبطه عن الدعوة، أو يصرفه عنها، متكئاً علي أن ما يلاقيه من الأذى عذر يبيح له أن يسكت مع الساكتين[٣].

فلا ينبغي للمسلم أن يتأثر بأقوال المثبطين، ولا يجعل الحزن يصيبه بالقعود والشلل التام في حياته، ولتكن ثقته بالله قوية، فهو سبحانه بيده كل شيء، والكون كله تحت قبضته ومشيئته، فكيف يتأثر بقول هؤلاء الذامين، فهم لا عزة لهم ولا منعة، ولا يقدرون على شيء، فلا ينبغي أن يبالي بهم.

(١) التحرير والتنوير، (١٦٦/٦)
(٢) سورة يونس: الآية ٦٥
(٣) أسرار التنزيل، ص ٤١١

١٦-صيغة: (ومفاد الآية)

يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[١]، ومفاد الآية: أن هذا الوعيد منوط باتباع أهوائهم غير منظور فيه إلي حال المتبع له، وقوله: " من بعد ما جاءك من العلم" شاهد علي أن اتباع الرجل للهوى وهو علي علم منه أفظع من اتباعه له وهو علي جهالة، وأن مخالفته للحق وهو عالم به أدعى إلي عقابه أو عقابه وهو جاهل به[٢]، وإنما قال أهوائهم ولم يقل دينهم؛ لأن ما هم عليه مجرد أهوية نفس، حتى هم في قلوبهم يعلمون أنه ليس بدين، ومن ترك الدين اتبع الهوى ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[٣].

(١) سورة البقرة: جزء من الآية ١٤٥
(٢) أسرار التنزيل، ص ٢٦٨
(٣) تفسير السعدي، ص ٦٨، والآية الكريمة من سورة الجاثية: آية ٢٣

المطلب السادس: وسائل كشف واستخراج الهدايات عند الخضر حسين.

أي: الخطوات والطرق التي من خلالها يستجلي الشيخ الخضر الهداية من الآيات القرآنية، وليس بالضرورة أن تكون هذه الخطوات من مبتكرات الشيخ ومنهجه الخاص، وإنما المقصود الخطوات التي اختارها واعتمدها وسار عليها من بين الطرق المعروفة لدي العلماء. فمن هذه الخطوات:

١ -تنوع الأساليب:

فمن المعروف أن لكل أسلوب فائدته ومغزاه ودلالته، وله ما يناسبه من المقام، فقد انتفع الخضر بتنوع الأسلوب في استنباط الهدايات، على أساس أن كل أسلوب يتضمن هداية من الهدايات القرآنية، ومن هذه الأساليب:

١- **أسلوب القصر:** وهو من أساليب التوكيد البلاغية، والمقصود به: تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، يعني بأداة من أدوات القصر مثل النفي والاستثناء، وذلك لتأكيد الكلام وتقريره في الذهن[١].

يقول الشيخ الخضر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[٢]، وقصر الإضلال بالمثَل علي الفاسقين، إيذان بأن الفسق هو الذي أعدهم لأن يضلوا به، حيث إن كفرهم قد صرف أنظارهم عن التدبر فيه حتى أنكروه، وقالوا: ماذا أراد الله بهذا مثلا؟[٣].

(١) **ينظر:** بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، (٦٣/١)
(٢) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٦
(٣) أسرار التنزيل، ص ٥٥

تبين الآية أن المؤمن يزداد إيماناً حين يعلم معني ضرب الله – تعالى– الأمثال في الأشياء الحقيرة، وإن لم يعلم اعتقد أن الأمثال حق وإن خفي عليه وجه الحق فيها...، أما الكافر فينكر ضرب هذه الأمثال، ويقول ماذا أراد الله بهذا مثلا..؟! ثم ذكر سبحانه حكمته سبب إضلال من يضل ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾، وقد استنبط الشيخ من أسلوب القصر في قوله تعالى﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1]، أن الفسق هو الذي أعماهم عن الانتفاع بالأمثال، ولم يكتفوا بذلك بل أنكروها، وذلك لتمكن الفسق منهم، وقد روى الطبري (ت٣١٠هـ) هذا المعنى في تفسيره عن قتاده (ت١١٧هـ) في قوله تعالى: " وما يضل به إلا الفاسقين" فسقوا فأضلهم الله تعالى علي فسقهم[2]، فكأن إنكارهم للمثل ليس غريباً عنهم، فعلة الإنكار هي الفسوق وهو موجود فيهم أصلاً، يقول أبو السعود (ت٩٨٢هـ) قوله تعالى: " وما يضل به إلا الفاسقين" زيادة تعيين لمن أريد إضلالهم ببيان صفتهم القبيحة... وإشارة إلي أن ذلك ليس إضلالاً ابتدائياً، بل هو تثبيت علي ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه[3].

٢- **أسلوب التقديم والتأخير:** والمقصود به التغيير في تركيب عناصر الجملة في السياق، فيتقدم ما الأصل فيه أن يتأخر، ويتأخر ما الأصل فيه أن يتقدم، وذلك لفوائد منها: الاهتمام والتخصيص، والتشويق... [4].

(١) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٦
(٢) تفسير الطبري، (٤٠٩/١)
(٣) تفسير أبي السعود، (٧٥/١)
(٤) ينظر هذا الباب بالتفصيل في المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبن الأثير، (١٧٣/٢) تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر. والطرار لأسرار البلاغة، ليحي بن حمزة العلوي، (٣/٣) والبلاغة العربية، لعبد الرحمن حسن حبنكة (٣٥٠/١) دار القلم، دمشق١٩٩٦م.

يقول الشيخ الخضر حسين عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾[١]، وتقديم الضمير " إياي " علي الفعل " ارهبون" إذ قال: " وإياي فارهبون"، يفيد العناية والاهتمام بأن يرهب جانبه، والمعنى: لتكن قلوبكم عامرة بخشيتي، فإن امتلاء القلوب بخشية الله – تعالى- أعون لها علي طاعته فيما يأمر به، وينهى عنه، ونقاءها من رهبة غيره دليل علي سمو الهمة، ورسوخ الإيمان، واستنارة البصيرة[٢].

ففي قوله تعالى: " وإياي فارهبون " تقديم المفعول به علي فعله، وأشار الشيخ الخضر أن التقديم هنا أفاد لفت الانتباه إلي أهمية الخوف من الله –تعالى- فإن من آثار الخوف من الله –تعالى- الإقبال علي طاعته، والابتعاد عن معصيته، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾[٣]، وقد حذف متعلق الرهبة، فلم يحدد الرهبة وذلك لإفادة العموم، أي: ارهبوني في كل ما تأتون وتذرون[٤].

ويمكن أن يفيد التقديم أيضاً التخصيص والحصر، يعني لا ينبغي أن تكون الرهبة لغير الله –تعالى-، فلا ينبغي للمسلم أن يمتلأ قلبه بالخوف من غير الله –تعالى-، ولا يعلق قلبه إلا به سبحانه وتعالى.

(١) سورة البقرة: الآية ٤٠
(٢) أسرار التنزيل، ص ٨١
(٣) سورة المؤمنون: الآيات ٥٧: ٦١
(٤) تفسير الألوسي (٣٤٥/١)

٣- **أسلوب الالتفات:** وهو من الأساليب البلاغية، ويعني الانتقال من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلي آخر، وهوفن بديع من فنون القول يحقق فوائد في نفس المتلقي مع الإجازة في العبارة(١). والكلام إذا نقل من أسلوب إلي آخر كان أحسن تطرية لنشاط السامع، وأكثر إيقاظاً له(٢). يقول الإمام الخضر حسين عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٣)، هذا بيان لكمال استقامة إبراهيم التي رفعته عند الله –تعالى– المنزلة العليا... ذلك أن الله –تعالى– أمر بطاعته، وإسلام وجهه إليه في كل حال، فبادر إلي الامتثال، وقال: " أسلمت لرب العالمين"، وكان مقتضى قوله: ﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(٤)، أن يجري الكلام علي طريقة التكلم، فيقال: إذ قلنا له، ولكنه وقع العدول عن هذا الطريق إلي إسناد القول إلي الاسم الظاهر مضافاً إلي ضمير إبراهيم، فقال: " قال له ربه" لإظهار مزيد اللطف به، والعناية بتربيته، كما أن إبراهيم قال: " أسلمت لرب العالمين"، ولم يقل: أسلمت لك ليذكر الله –تعالى– بما يدل علي عظم شأنه، ويشير إلي أن من كان رباً للعالمين لا يليق بأحد من العالمين إلا أن يتلقى أمره بالخضوع، وحسن الطاعة(٥).

(١)**ينظر:** البلاغة العربية، لعبد الرحمن حبنكة (٤٨٠/١) دار القلم، دمشق،

(٢)**ينظر:** الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور لأبن الأثير، ص ٨٨، تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي ١٣٧٥ه.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٣١

(٤) سورة البقرة: جزء من الآية ١٣٠

(٥) أسرار التنزيل، ص ٢٤٠، ٢٤١

فلو جرى التعبير علي منواله السابق لكان هكذا –في غير القرآن–: " ولقد اصطفيناه في الدنيا....إذ قلنا له..."، لكنه عدل عن الغائب: " اصطفيناه" إلي الخطاب: " إذ قال له ربه" ليلفت وينبه إلي منزلة إبراهيم –عليه السلام– ومكانته عند الله –تعالى–، وأنه ما نال هذه المكانة إلا بحسن طاعته لله تعالى، فجاء التعبير: " إذ قال له ربه" بذكر ربه، وإضافة الرب إلي إبراهيم –عليه السلام " ربه "، وهذا فيه من التشريف والتكريم ما فيه، حيث خصه –تعالى– هنا بربوبيته، ولم يقل: إذ قال له رب العالمين.

وفي إجابة إبراهيم –عليه السلام– " أسلمت" أي: أخلصت، مشعر بأنه بادر علي الفور دون تريث[١]، لم يتردد ولم يضعف، وهذا من شدة إخلاصه، وقوة إيمانه، وقوله: " لرب العالمين" لم يقل أسلمت لك، لبيان علة إسلامه، والدافع إليه، وهو ربوبيته –تعالى– للعالمين، فإذا كان سبحانه وتعالى هو رب العالمين، فهو وحده حقيق بأن يسلم له ويخضع له سبحانه، وفي هذا إشارة إلي تقدير الله –تعالى– لأهل طاعته الذين أسلموا أمورهم لله –تعالى–، وأخلصوا دينهم وعبادتهم لله، وخضعوا لله بالطاعة، وفوضوا أمرهم إليه سبحانه.

٤– **أسلوب الإضافة:** وتسمى الإضافة المعنوية، وهي النسبة بين اسمين أحدهما مضاف، والآخر مضاف إليه، ولهذا الأسلوب فوائد جمه عند البلاغيين، منها:

التحريض علي الفعل، وأن يشار بالإضافة إلي تعظيم المضاف والمضاف إليه، وهذا التعظيم لا يعطي لأي منهما إذا كان منفرداً[٢].

(١) التحرير والتنوير، (٧٢٧/١)
(٢) البلاغة العربية، (٣٥١/١)

يقول الإمام الخضر عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1]، أضاف تعالى الآيات إلي نفسه، فقال: (بآياتنا) دون أن يقول: (بآياتي) لبعث المهابة في نفوس السامعين، وذلك أدعى إلي تلقي الوعيد باهتمام[2].

لاحظ الشيخ فائدة الإضافة في قوله (بآياتنا) أن الآيات آيات الله، فالأصل أنها تصدق ولا تكذب، ومن كذبها مع أحقيتها للتصديق فإن تكذيبه حينئذ يكون أقبح الأفعال وأشنع الصفات؛ لأنه إنكار للحقيقة الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، ثم جاءت نون العظمة (بآياتنا) لتدخل الهيبة في النفوس؛ لأن الله –تعالى– خالقنا ورازقنا ومربينا، فينبغي أن نسارع إلي الاهتمام بمنهجه سبحانه، وبأوامره ونواهيه.

٢ – التأمل في المعنى اللغوي:

وذلك حسب ما ترشد إليه الألفاظ من المعاني، أو فهم المعاني من الألفاظ، ولا شك أن التعمق في فهم دلالات الألفاظ مما يعين علي استنباط الهدايات القرآنية.

ولقد حاول الخضر حسين أن يستخرج الهدايات من الألفاظ القرآنية من خلال الغوص في فهم دلالة اللفظ، دون الاكتفاء بالنظر الظاهري، يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[3]،

(١) سورة البقرة: الآية ٣٩
(٢) أسرار التنزيل، ص٧٧
(٣) سورة البقرة: الآية ٣٦

المستقر: موضع الاستقرار، أو بمعنى الاستقرار، نحو: ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾[١]، أي الاستقرار، والمتاع: ما يتمتع به من المأكول والمشروب والملبوس ونحوه، والحين: الوقت، والمراد: وقت الموت، أو يوم القيامة، ومن كان علي ذكر دائم من أن استقراره في الأرض وتمتعه بنعيمها سينتهي بوقت لا يدري متي يدركه، فشأنه أن ينتفع بخيراتها ويتمتع بطيب العيش فيها، وهو مقبل علي العمل لمرضاة الله ما استطاع، وشاكراً لأنعمه بالقلب واللسان، لا يشغله عن الشكر شاغل من ملاذ هذه الحياة ومظاهر زينتها[٢].

لاحظ الشيخ الدلالة اللغوية لكلمة: " متاع" علي أن كل منفعة دنيوية لا تدوم، قال تعال: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[٣]، وكلمة (إلي حين) تدل علي التأقيت، يقول ابن فارس: أحينت بالمكان، أقمت به حيناً، ويقال: حينت الشاة: إذا حلبتها مرة واحدة[٤].

يعني مهما كان هناؤك في الدنيا واستقرارك فيها يكدرها أنها إلي حين، يقول أبو حيان (ت٧٤٥هـ): وفي قوله: " إلي حين" دليل علي عدم البقاء في الأرض، ودليل علي الميعاد، وفي هذه الآية: التحذير عن مخالفة أمر الله –تعالى– بقصد أو تأويل[٥]، يقول رشيد رضا: في هذه الآية فائدتان: إحداهما : أن الأرض ممهدة ومهيأة للمعيشة فيها

(١) سورة القيامة: الآية ١٢
(٢) أسرار التنزيل، ص٧١، ٧٢
(٣) سورة القصص: الآية ٦٠
(٤) المقاييس، (١٢٥/١، ١٢٦)، مادة " حين"
(٥) البحر المحيط، (١٦٥/١)

والتمتع بها، والثانية : أن طبيعة الحياة فيها تنافي الخلود والدوام ، فليس الهبوط لأجل الإبادة ومحو الآثار، وليس للخلود، يعني أن الله أخرجهم من جنة الراحة إلى أرض العمل لا ليفنيهم ، وعبر عن ذلك بالاستقرار في الأرض ، ولا ليعاقبهم بالحرمان من التمتع بخيرات الأرض، وعبر عن ذلك بالمتاع ، ولا ليمتعهم بالخلود وعبر عن ذلك بكون الاستقرار والمتاع إلى حين(١).

ويقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾(٢)، العفو: ترك المُأخذة علي الذنب، والصفح: ترك التأنيب عنه، والأمر في قوله تعالى: " حتى يأتي الله بأمره" الإذن للمسلمين بالقتال عندما يكون لهم قوة يتمكنون بها من جهاد عدوهم.... وسمي ترك عقوبة المسلمين للكافرين عفواً مع ضعف المسلمين، وما كان للكفار وقتئذ من شوكة، والعفو إنما يكون عند القدرة، للتنبيه علي أن أصحاب الحق الذين هم تحت رعاية الله –تعالى– وتأييده في حكم الأقوياء، فترك هؤلاء المحققين للقيام في وجود أولئك المبطلين اتقاءً لضرر أكبر يصح أن يسمى عفواً(٣).

يذكر الشيخ أن الغفو لا يكون إلا مع القدرة، حسب مفهومه اللغوي(٤)، والمسلمون وقت نزول هذه الآية لم يكونوا في مرحلة قوة، بحيث يطلب منهم عدم مؤاخذة أهل الكتاب علي صنيعهم السيء معهم، وقد أرجع الشيخ ذلك إلي أمرين:

(١) تفسير المنار، (٢٣١/١)
(٢) سورة البقرة: جزء من الآية ١٠٩
(٣) أسرار التنزيل، ص٢٠٠، ٢٠١
(٤) يقول ابن فارس في المقاييس، (٥٧/٤) مادة: عفا: وقد يكون العفو عن الشيء بمعنى: الترك، ولا يكون ذلك إلا عن استحقاق.

الأول: للإشارة إلي أنهم أقوياء بمنهج الله –تعالى–، كما قال تعالى مخاطباً موسى وهارون –عليهما السلام–: ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾[١]، أي تغلبونهم وتقهرونهم بآياتنا التي نؤيدكما بها[٢].

كأنه يقول: لا يغرنكم أيها المؤمنون كثرة أهل الكتاب مع باطلهم، فإنكم علي قلتكم أقوى منهم بما أنتم عليه من الحق، فعاملوهم معاملة القوي العادل للقوي الجاهل، وفي إنزال المؤمنين علي ضعفهم منزلة الأقوياء، ووضع أهل الكتاب علي كثرتهم موضع الضعفاء، إيذان بأن أهل الحق هم المؤيدون بالعناية الإلهية، وأن العزة لهم ما ثبتوا علي حقهم[٣]، ويؤيد هذا تذييل الآية " إن الله علي كل شيء قدير" ففيه إشعار بالانتقام من الكفار، ووعد للمؤمنين بالنصرة والتمكين[٤].

الثاني: خوف وقوع ضرر أكبر، يقول ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): وإنما أمر المسلمون بالعفو والصفح عنهم في هذا الموضع خاصة ؛ لأن ماحكي عن أهل الكتاب مما يثير غضب المسلمين لشدة كراهيتهم للكفر قال تعالى: ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ ﴾[٥]، فلا جرم أن من يود لهم ذلك يعدونه أكبر أعدائهم ، فلما كان هذا الخبر مثيراً للغضب ، خيف أن يفتكوا باليهود ، وذلك ما لا يريده الله –تعالى– منهم ؛ لأن الله أراد منهم أن يكونوا مستودع عفو وحلم ، حتى يكونوا قدوة في الفضائل[٦]. يقول

(١) سورة القصص: الآية ٣٥
(٢) التحرير والتنوير، (٤٦٤/١٠)
(٣) تفسير المنار، (٣٤٧/١)
(٤) تفسير الألوسي، (٣٥٧/١)
(٥) سورة الحجرات: جزء من الآية ٧
(٦) التحرير والتنوير، (١٥/٢)

الشيخ عند قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[1]، وهذا الوصف "ويقطعون ما أمر الله به" يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله –تعالى–، كقطع الرحم والإعراض عن موالاة المؤمنين، وترك الجماعات المفروضة، وعدم وصل الأقوال الطيبة بالأعمال الصالحة[2].

نظر الشيخ إلي العموم في لفظ " ويقطعون"، ففسر القطع علي عمومه، فيشمل كل ما لا يرضي الله سبحانه وتعالى، ولعل هذا هو الأوجه، وقد ذهب إلي هذا أبو حيان (ت٧٩٤هـ)، يقول: حمل اللفظ علي مدلوله من العموم، ولا دليل واضح علي الخصوص[3].

٣ - البحث في عموم الأدلة من الكتاب والسنة:

من المعلوم بداهة أن الفهم الصحيح للإسلام إنما يكون بالنظر في مجموع النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، لما بينها من الترابط القوي، فيؤكد بعضها ما يدل عليه البعض الآخر، ويصدق بعضها بعضا.

وعلماء التفسير عند بعض الهدايات من الآيات القرآنية، فإنهم يضعون نصب أعينهم ما يؤكدها من عموم النصوص الشرعية، ولا يتعارض معها...، يقول الشيخ الخضر عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[4]، من الواضح أن التوبيخ في الواقع متوجه إلي نسيانهم أنفسهم؛ أي تركهم

(١) سورة البقرة: الآية ٢٧
(٢) أسرار التنزيل، ص٥٥
(٣) البحر المحيط، (١٢٨/١)، وتفسير الألوسي، (٢١١/١)
(٤) سورة البقرة: الآية ٤٤

العمل بما يأمرون به، لا إلي أمر الناس بالبر، فإن الأمر بالخير في نفسه فعل محمود، ولو صدر ممن لا يفعل الخير، إذ ليس من شرط وجوب الأمر بالمعروف أن يكون الآمر عاملاً به، وإنما عمله بما يأمر يجعل وعظه قريباً من القلوب، جديراً بأن يتلقى بالقبول[١].

عالج الشيخ من خلال النظر في عموم الأدلة ما قد يفهم ذم الآمر بالمعروف التارك له، وعدم قبوله دعوته إلي المعروف، بأن الذم والتوبيخ متوجه إلي تركهم العمل بالبر وليس إلي الآمر به، وجاء التعبير عن ترك العمل بالبر بنسيان الأنفس، على اعتبار أنه لا يتصور أن يريد الإنسان لغيره الخير وينسى نفسه من الخير..، يقول ابن كثير (ت٧٧٤هـ): والغرض : أن الله –تعالى–ذمهم على هذا الصنيع ، ونبههم على خطئهم في حق أنفسهم ، حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه ، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له ، بل على تركهم له ، فإن الأمر بالمعروف [معروف] وهو واجب على العالم ، ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع أمرهم به ، ولا يتخلف عنهم ، كما قال شعيب – عليه السلام – : ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾[٢]، فكلمن الأمر بالمعروف وفعله واجب، لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف. عن سعيد بن جبير[٣]: لو كان المرء

(١) أسرار التنزيل، ص٨٧

(٢) سورة هود: جزء من الآية ٨٨

(٣) هو الإمام الحافظ المفسر التابعي أبو محمد سعيد بن جبير، روى عن ابن عباس، وعائشة، وأبي هريرة، وغيرهم من الصحابة الكرام، قتله الجاج سنة ٩٥ه. **ينظر:** سير أعلام النبلاء، (٣٢١/٤)، للحافظ الذهبي، مؤسسة الرسالة، الثالثة ١٤٠٥ه.

لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتي لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهي عن منكر(١).

ويقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(٢)، لما ذكر تعالى أن اقتراح ما تقدم من تكليم لله، أو إتيان آية، إنما هو صادر من قوم لا يعلمون. أخبر في هذه الجملة "قد بينا الآيات لقوم يوقنون" بأنه قد أقام علي صدق رسالة النبي(ﷺ) آيات بينات يفقهها قوم يوقنون، وهم من شأنهم الإخلاص في طلب الحق أينما كان، فيتجهون إليه من طريق الأدلة الصحيحة بقلوب نقية، فإذا وصلوا إلي حقيقة تقبلوها باتباع وإذعان، أما من غلبت عليهم الأهواء فلا يرجى منهم أن ينتفعوا بالآيات، وإن كانت أوضح من الشمس المشرقة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾(٣)، والآيات البينات التي أقامها الله –تعالى– علي صدق البعثة المحمدية لا يحيط بها استقصاء(٤). أجاب الشيخ عن سبب عدم إجابة طلب الذين لا يعلمون " لولا يكلمنا الله" من خلال النظر في مجموع آيات القرآن، فقد جاءت آيات أخر تبين أن الطلب الذي دافعه العناد، والصادر عن قوم لا يعنيهم طلب الحق، لا تفيدهم هنا الإجابة، فلو جاءهم كل ما طلبوا فلن ينفذ الحق إلي قلوبهم وعقولهم، ثم ذكر الشيخ آيتي سورة الحجر،

(١) تفسير ابن كثير، (١١٦/١)
(٢) سورة البقرة: الآية ١١٨
(٣) سورة الحجر: الآيتان ١٤، ١٥
(٤) أسرار التنزيل، ص ٢١٧، ٢١٨

وهناك آيات أخر تؤكد هذا المعني لم يذكرها هنا مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ (١) ، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾(٢). ويقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٣)، وقد استوفت الآيات الواردة في صفات الرسول وهو محمد (ﷺ) المقصود بقوله " رسولاً منهم" منابع الدين أصولاً وفروعاً، فكل رأي في الدين لا يستند إلي ما كان النبي(ﷺ) يتلوه من الآيات، ويعلمه من الكتاب والسنة، أو من الأصول المستمدة منهما علي وجه معقول فهو رد علي صاحبه(٤).

يريد أن الآية جمعت مصادر الدين، فكل ما يخالف هذه المصادر لا وزن له ولا قيمة مهما أوتي المخالف من العلم والفطنة.

٤ - المناسبة:

أي: المناسبة بين أوضاع الآيات القرآنية، وائتلاف عناصرها وأخذ بعضها بحجز بعض، حتى إنها لتنتظم منها وحدة محكمة لا انفصام لها(٥).

(١) سورة يونس: الآيتان ٩٦، ٩٧

(٢) **ينظر:** تفسير أبي السعود، (١٥٣/١)، وتفسير المنار، (٣٦٣/١)، والتحرير والتنوير، (٣١/٢)، والآية الكريمة من سورة الأنعام: الآية ٧

(٣) سورة البقرة: الآية ١٢٩

(٤) أسرار التنزيل، ص ٢٣٩

(٥) النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، ص ١٤٣، دار القلم، ١٤٢٦ه.

والمناسبة من العلوم المهمة في الدراسات القرآنية، فهو يعتبر بحق نوع من أنواع الإعجاز البلاغي والبياني في القرآن الكريم، ومن خلاله يستخرج كثيرة من الهدايات القرآنية، يقول الفخر الرازي (٦٠٦هـ): أكثر لطائف القرآن الكريم مودعة في الترتيب والروابط[١]، والشيخ الخضر قد اعتنى بهذا العلم في الآيات التي فسرها وأكثر منه...، فمثلاً يقول عند قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[٢]، وجاء طلب الاستعانة بعد قوله " إياك نعبد" ليدل علي أنهم لا يستقلون بإقامة العبادات، بل عون الله –تعالى– هو الذي ييسر لهم أداءها[٣].

نعم الإنسان مهما أوتي من قوة ومن نفوذ ومن إمكانات، لا يستغني عن عون الله –تعالى– فالله – تعالى– علمنا أن نطلب منه أن يمن علينا بعونه " إياك نستعين"، يقول أبو السعود مبيناً وجه المناسبة بين الجملتين: كأنه قيل: إياك نستعين في عبادتك فإنا غير قادرين علي أداء حقوقك من غير إعانة منك ، وفيه من الإشعار بعلو رتبة عبادته تعالى ، وعزة منا لها ، وبكونها عند العابد أشرف المباغي والمقاصد ، وبكونها من مواهبه تعالى لا من أعمال نفسه[٤].

ويقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴾[٥]، وبعد أن دعا بني

(١) تفسير الفخر الرازي، (١١٣/١٠)
(٢) سورة الفاتحة: الآية ٥
(٣) أسرار التنزيل، ص ١٠
(٤) تفسير أبي السعود، (١٧/١)
(٥) سورة البقرة: الآيتان ٤٠، ٤١

إسرائيل إلي ذكر النعم التي أنعم بها عليهم، وأمرهم أن يوفوا بعهده ضامناً لهم الوفاء بعهدهم، ونبههم لأن يخافوا مقامه تنبيهاً مشعراً بعزة سلطانه، وسعة قدرته، عطف علي ذلك أمرهم بما هو المقصد الأهم من الخطاب، وهو الإيمان بالقرآن الكرين، فقال تعالى: (وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ)[١].

وتخصيص الأمر بالإيمان بالقرآن هنا مع أنه داخل في شأن الوفاء بالعهود، للإشارة إلي بعد منزلته، وأنه هو المقصود الأعظم من خطابهم.

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٢]، لما كان ذكر الإلهية والفردانية يُحْضِر في ذهن السامع معنى القهر، وسعة القدرة، وعزة السلطان، وذلك مما يجعل في القلب هيبة وخشية. ناسب أن يورد عقبه ما يدل علي أنه – مع العظمة والسلطان– مصدر الإحسان ومولي النعم، فقال: " الرحمن الرحيم" وهذه سنة الله تعالى في الترويح علي القلوب بالتبشير بعد ما يثير الخشية، حتى لا تقع من طغيان الرهبة عليها في قنوط[٣].

فكأن ذكر هاتين الصفتين ترغيب في الإقبال علي الله تعالى، وعدم اليأس من فضله، وإطماع في سعة رحمته سبحانه وتعالى[٤].

(١) أسرار التنزيل، ص ٨١
(٢) سورة البقرة: الآية ١٦٣
(٣) أسرار التنزيل، ص ٢٨٩
(٤) البحر المحيط، (٤٦٤/١)

٥ - السيـاق:

هو ربط الآية أو الآيات بالسابق واللاحق، يقول ابن تيمية[١]: فمن تدبر القرآن، وتدبر ما قبل الآية وما بعدها، وعرف مقصود القرآن تبين له المراد، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج[٢]، وقد بدأ الاهتمام في وقت مبكر، فهذا مسلم بن يسار[٣]، يقول: إذا حدثت عن الله -تعالى- فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده[٤]، والتأمل في سياق الآيات مما يساعد علي استخراج الهدايات، وأسرار الدلالات.

والشيخ الخضر حسين كان يستحضر السياق في تفسيره، فيقول مثلاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[٥]، البغي: الحسد والظلم، والمحسود: هو النبي(ﷺ)، فقد حسدوه علي النبوة لما لم يكن من بني إسرائيل، وكان من العرب من ولد إسماعيل، ولم يذكره في الآية علي وجه التعيين لعلمه من مساق النظم، والتنبيه علي أن الحسد في ذاته منكر مذموم كيفما كان حال المحسود، وقال: " علي من يشاء من عباده" ليكون

---

(١) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، الحراني، الدمشقي، أبو العباس المعروف بابن تيمية شيخ الإسلام، له مؤلفات كثيرة، منها: الفتاوى، ومنهاج السنة، توفي سنة ٧٢٨ه، **ينظر:** في فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكاتبي، (٧٤/١)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

(٢) مجموع الفتاوي، لابن تيمية، (٩٤/١٥)

(٣) مسلم بن يسار، أبو عبد الله البصري، القدوة الفقيه الزاهد، روى عن ابن عباس وابن عمر، توفي سنة ١٠٠ه. **ينظر:** سير أعلام النبلاء للذهبي، (٥١٤/٤)

(٤) فضائل القرآن، للقاسم بن سلام، ص ٢٢٩

(٥) سورة البقرة: الآية ٩٠

أظهر دلالة علي أن في الحسد معني عدم الرضا بما يختاره الله لبعض عباده من خير[١].

تأمل الشيخ السياق، واعتبر المقصود بالبغي هنا ظلماً خاصاً، وهو الحسد، وإنما جعل الحسد ظلماً؛ لأن الظلم هو المعاملة بغير حق، والحسد تمني زوال النعمة عن المحسود، ولا حق للحاسد في ذلك؛ لأنه لن يناله من زوالها ولا من بقائها خير[٢]، وقد روى الطبري أن المقصود بالمحسود هنا هو محمد (ﷺ)[٣].

ويقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾[٤]، " ومن أحسن من الله صبغة" هذه الجملة واردة في صور الاستفهام الذي يراد منه النفي، والمعنى: لا أحد أحسن من الله صبغة، أي ديناً. وهذا التركيب بدل – بحسب أصل وضع اللغة – علي نفي أن يوجد دين أفضل من دين الله، ويبقي احتمال أن يوجد دين يساويه في الحسن، وهذا الاحتمال لم ينفيه التركيب بحسب أصل الوضع، ولكن مثل هذا التركيب صار أسلوباً يفهم منه –بمعونة مقام المدح– نفي ساواه لدين الله في الحسن، كما يفهم منه أن يكون هناك دين أحسن منه، وأفضلية دين الله: من جهة هدايته إلي الاعتقاد الحق، والأخلاق الكريمة، والآداب السمحة، والعبادات الصحيحة، والسياسة الرشيدة، والمعاملات القائمة علي رعاية المصالح[٥].

(١) أسرار التنزيل، ص ١٦٥
(٢) التحرير والتنوير، (٦٠٥/١)
(٣) تفسير الطبري، (٣٤٣/٢)
(٤) التحرير والتنوير، (٦٠٥/١)
(٥) أسرار التنزيل، ص ٢٥٣

فقوله: " ومن أحسن من الله صبغة" نفي أن يكون هناك دين أفضل من دين الله –تعالى–، ولما كان المقام مقام مدح نفي أيضاً أن يكون هناك دين مساو لدين الله تعالى رغم أن سبك التركيب لا يوحي بذلك، لكن المقام دل علي نفي المساواة أيضاً، كما يقال: من أكرم من فلان، أو لا أفضل من فلان، فالمراد به حتماً أنه أكرم من كل كريم، وأفضل من كل فاضل، فلم ينفي الأفضلية فقط بل والمساواة أيضاً.

٦ - التأمل في حكم وأسرار الآيات:

المفسر حين يمعن نظره في استكشاف الحكم والأسرار للآيات القرآنية يظهر أمامه كثير من الهدايات، والشيخ الخضر كان يستحضر الحكم والأسرار عند تفسيره للقرآن الكريم، فيقول مثلاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1]، والحكمة في الإخبار بعدم إيمان هذا الصنف من الكفار تسلية للنبي(ﷺ) حتي لا يكون في صدره حرج من تمردهم وعدم إيمانهم بعد أن قام بواجب دعوتهم، وفي هذا تذكرة لكل داع مصلح بأن لا يحترق قلبه أسفاً علي قوم دعاهم إلي سبيل الحق، وبذل جهده في دعم دعوته بالحجة، فنأوا بجانبهم وانحطوا في أهوائهم[2].

قد يفهم من ظاهر الآية أن الداعي يتوقف عن دعوته حين ييأس من إيمان المدعوين، بيد أن هذا غير مقصود، وإنما المقصود بيان أن هؤلاء مكابرين ومعاندين، لم يفتحوا سمعهم ولا قلوبهم لتلقي الحق وهؤلاء لا ينفعهم الحرص، وقوله: " لا يؤمنون" جملة مفسرة لتساوي

(١) سورة البقرة: الآية ٦
(٢) أسرار التنزيل، ص ٢٣

الإنذار وعدمه في حقهم لا في حقه(ﷺ) وحق دعاة دينه ، فهم يدعون كل كافر إلى دين الله الحق ، لأنهم لا يميزون بين المستعد للإيمان وغير المستعد له إذ هو أمر لا يعلمه إلا الله تعالى(١).

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (٢)، وقد أرشدت الآية إلي أن الله – تعالى- يرزق الكافرين في الدنيا، كما يرزق المؤمن، وإذا كان امتاع المؤمن بالرزق لأنه أهل لأن ينعم عليه بكل خير، فلإمتاع الكافر بالرزق حكم، منها: استدراجه المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٣)، ولو خص الله المؤمنين بالتوسعة في الرزق، وحرم منها الكافرين، لكان هذا التخصيص سائقاً للكافرين إلي الإيمان علي وجه يشبه الإلجاء، وقد قضت حكمة الله –تعالى- أن الإيمان يكون اختيارياً، حتى ينساق إليه الإنسان من طريق النظر في أدلة عقلية، يبصر بها أقوام، ولا يبصر بها آخرون(٤).

(١) تفسير المنار، (١٣٠/١)
(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٥
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٨٢
(٤) أسرار التنزيل، ص ٢٣٢

المبحث الثالث

موضوعات الجانب الهدائي عند الخضر حسين

وتحته مطالب:

المطلب الأول: العقيدة.

المطلب الثاني: الشريعة.

المطلب الثالث: الأخلاق.

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن ليكون هداية للعالمين ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[١]، فهذه الآية الكريمة أجمل الله تعالى فيها جميع ما في القرآن من الهدي إلي خير الطرق، وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها علي وجه الكمال لأتينا علي جميع القرآن العظيم، لشمولها لجميع ما فيه من الهدي إلي خير الدنيا والآخرة[٢]، فالقرآن الكريم كتاب الدين كله، فهو عمدة الملة، وروح الوجود الإسلامي، منه تستمد العقيدة، وتؤخذ العبادة، وتلتمس الأخلاق، وتُتوخى أصول التشريع والأحكام[٣].

والشيخ الخضر حسين تعرض في تفسيره لكثير من مجالات وموضوعات الهدايات القرآنية، في مجال العقيدة، والشريعة، والأخلاق، وبعون الله تعالى نذكر كل مجال من هذه المجالات بشيء من التفصيل.

(١) سورة الإسراء: الآية ٩
(٢) أضواء البيان، (١٧/٣)
(٣) كيف نتعامل مع القرآن، للقرضاوي، ص ٤٩

المطلب الأول: العقيـدة.

العقيدة هي: الإيمان الجازم بالله -تعالى-، وما يجب له، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب، والتسليم لله تعالى ولرسوله بالطاعة والتحكيم والاتباع(١)، والقرآن الكريم ذكر العقيدة الإسلامية نقية غير مشوبة، بينة غير غامضة، حية غير هامدة، مخاطبة للعقل والقلب معاً(٢).

والشيخ الخضر حين يذكر مسائل العقيدة في تفسيره، لا يذكرها علي منوال علماء الكلام، فلا يتعرض لتفاصيل وجزئيات مباحث علم الكلام، بل يمر عليها مروراً عابراً، فمثلاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٣)، يقول: " استوى إلي السماء" أقبل وعمد إليها بإرادته(٤)، أما المسائل التي فيها هداية ونفع للأمة، فإنه يطيل فيها النفس ويكثر لها الأدلة والشواهد، ويقول مبيناً أهمية العقيدة في تحقيق السعادة للإنسان عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾(٥)، ومن كفر بالله وعصاه، فقد أفسد في الأرض، وإنما تصلح الأرض بالتوحيد والطاعة(٦).

---

(١) مباحث في العقيدة، د/ ناصر العقل، ص ٤، الطبعة الأولى ١٤١٢ه، دار الوطن للنشر.
(٢) كيف نتعامل مع القرآن، للقرضاوي، ص ٤٩
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٩
(٤) أسرار التنزيل، ص ٥٨
(٥) سورة البقرة: الآية ١١
(٦) أسرار التنزيل، ص ٢٩

والشيخ لم يتعرض لتفاصيل عقيدة المؤمن في القرآن الكريم، وإنما ذكر بعض الجوانب الهدائية العقدية، نذكر منها:

الألوهية، وتشمل:

أ- **توحيد الربوبية، ومعناه:** اعتقاد أن الله –تعالى– واحد في أفعاله سبحانه لا شريك له، كالخلق والرزق، والإحياء، والإماتة، وتدبير الأمر، يعني السيادة والتصرف في الملكوت(١)، وقد ذكر الشيخ بعض ما يتعلق بتوحيد الربوبية مثل:

١- **اعتقاد أن الله –تعالى– هو الخالق المربي،** يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾(٢)، الرب: المالك، أو المربي، وفي ذكره تعالى باسم الرب، وإضافته إلي المخاطبين، تقوية لداعية إقبالهم علي عبادته، فإن الإنسان إذا اتجه بفكره إلي معني كون الله مالكاً أو مربياً له، وتذكر ما يحفه به من رفق، وما يجود به عليه من إنعام، لم يلبث أن يخصه بأقصى ما يستطيع من خضوع وتعظيم(٣)، ولعل في التعبير بلفظ " اعبدوا ربكم" دون لفظ " اعبدوا الله" إيذاناً بأحقية الأمر بعبادته، فإن المدبر لأمور الخلق هو جدير بالعبادة؛ لأن فيها معني الشكر، وإظهار الاحتجاج(٤).

٢- **المنكر لوجود الله –تعالى– يخسر الدنيا والآخرة،** يقول الشيخ عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لأبي جعفر أحمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، شرح الشيخ صالح عبد العزيز آل الشيخ، (١١/١)
(٢) سورة البقرة: الآية ٢١
(٣) أسرار التنزيل، ص ٤٣
(٤) التحرير والتنوير، (٣٢٦/١)

فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[1]، أفادت الجملة أن الكافرين يختصون بالخسران، ولا يتعداهم إلي غيرهم ممن أخلصوا الإيمان به، فالكافرون هم الخاسرون في الدنيا، حيث لا يعيشون فيها عيش المؤمن بحق، صدور منشرحة ونفوس مطمئنة، وتأييد من الله –تعالى– يجعلهم منصورين علي من يناوئهم، وكذلك الإيمان الراسخ، يفرغ علي القلوب صبراً يخف به وقع الخطوب، ويذود عنها حرجاً لا يفارق صدر الكافر، ولو ملك رياسة قاهرة، وأموالاً وافرة، وإذا نهض صاحبه لكفاح عدد، كان نصر الله منه قريباً، والكافرون هم الخاسرون في الآخرة، إذ يفوتهم ما أعده الله – تعالى– للمؤمنين من نعيم دائم ومقام كريم، ويخلدون بهذا الحرمان في عذاب مهين[2].

٣– **الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى،** يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[3]،أذن الله تعالى لآدم –عليه السلام– أن يعلم الملائكة بالأسماء التي فاتتهم معرفتها، ليظهر لهم فضل آدم، ويزدادوا اطمئناناً إلي أن إسناد الخلافة إليه تدبير قائم علي حكمة بالغة، وعلم الغيب يختص به واجب الوجود جل شأنه؛ لأنه هو الذي يعلم المغيبات بذاته، وأما العلم بشيء من المغيبات الحاصل من تعليم الله، فلا يقال لصاحبه: إنه يعلم الغيب[4]، وهذا مصداق لقول الله تعالى:

(١) سورة البقرة: الآية ١٢١
(٢) أسرار التنزيل، ص ٢٢٢
(٣) سورة البقرة: الآية ٣٣
(٤) أسرار التنزيل، ص ٦٥

﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ﴾[١].

٤- **التذكير بنعم الله -تعالى- الداعية إلي الخير**، يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾[٢]، والنعمة: المنعم به، وتجمع علي نِعَم، وقد وردت في القرآن الكريم بمعنى النعم، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾[٣]، فلفظ العد والإحصاء يعين علي أنها أريد بها النعم الكثيرة[٤]، والنعمة التي في هذه الآية التي نحن بصددها يترجح حملها علي معني النعم، إذ لم يقم دليل من الآية علي أنه أريد بها نعمة معهودة، ثم إن مقام الدعوة إلي الإيمان يقتضي توجيههم إلي أن يذكروا نعم الله عليهم فيما سلف، ولله تعالى عليهم نعم كثيرة عظيمة[٥]، وقد ذكر قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾في سورة إبراهيم أيضاً بعد ذكره تعالى لأدلة التوحيد، يقول سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ

(١) سورة الجن: الآيتان ٢٦، ٢٧
(٢) سورة البقرة: الآية ٤٠
(٣) سورة النحل: الآية ١٨
(٤) فمن المعلوم أن العد يقتضي الجمع لأشياء كثيرة ولكنه سبحانه جاء هنا بكلمة مفردة وهي " نعمة "، ولم يقل " نِعَم" فكأن كل نعمة مطمور فيها نعم شتى، فلن تستطيع أن تعد النعم المطمورة في نعمة واحدة. تفسير الشهاوي (١٤٥٨/٩)
(٥) أسرار التنزيل، ص ٨٠

وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾[1].

٥- **طلب الإعانة هو طلب لمقتضيات الربوبية،** يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾[2]، الاستعانة: طلب المعونة، ومعنى الجملة: نخصك بطلب الإعانة، ولا نتوجه بهذا الطلب إلي غيرك، ولم يذكر المستعان عليه من الأعمال ليشمل الطلب كل ما يتجه إليه الإنسان من الأعمال الصالحة[3]، فالاستعانة بالله -تعالى- روح الدين، وكمال التوحيد الخالص، وغاية الشكر له سبحانه في القيام بما يجب لربوبيته.

ب- **توحيد الألوهية، وهو:** إفراد الله -تعالى- بالعبادة، ويسمى توحيد العبادة، ومعناه: الاعتقاد الجازم بأن الله -سبحانه وتعالى- هو الإله الحق، ولا معبود سواه، وتوجه القلب إلي الله -تعالى-، وإخلاص القصد والإرادة له وحده[4].

وقد تناول الشيخ في تفسيره جانباً يتعلق بتوحيد الألوهية، مثل:

١- **ذكر النعم تملأ القلب إجلالاً لله تعالى،** يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[5]، كرر كرر بهذه الآية نداء بني إسرائيل[6]، ودعوتهم إلي ذكر ما أسبغ عليهم من النعم، الدال علي عِظَمها إسناد الإنعام بها إليه تعالى في قوله: "

(١) سورة إبراهيم: الآيات ٣٢: ٣٤
(٢) سورة الفاتحة: الآية ٥
(٣) أسرار التنزيل، ص ١٠
(٤) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، ص ٧٣، وزارة الشئون الإسلامية، السعودية، الطبعة الأولي ١٤٢١هـ.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٢٢
(٦) حيث ذكر النداء ببني إسرائيل في آية ٤٠، وآية ٤٧ من سورة البقرة.

التي أنعمت عليكم" وأي شيء أعظم أثراً في سعادة الإنسان من أن يكون علي ذكر من نعم الله –تعالى– عليه؟ إذ ذكر نعم الله يملأ القلب بإجلاله، ويدعوا إلي شكرها بحسن الطاعة، وشكرها يستدعي المزيد منها، ويكسب صاحبه الظفر برضا من بيده مقاليدها، ومن ظفر برضا ولي النعم فقد جمع الخير من أطرافه(١).

٢- **الربوبية توصل إلي الألوهية**، يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٢)، " أسلم وجهه" اتجه إليه، وأخلص نفسه له، " وهو محسن" من الإحسان وهو الإتيان بالعمل علي وجه حسن(٣)، وقد فسر النبي(ﷺ)الإحسان بقوله: " أن تعبد الله كأنك تراه"(٤)، والأجر: الثواب، وسمي الثواب أجراً؛ إيذاناً بقوة ارتباطه بالعمل، فمن المعروف أن الأجر لا ينال بدون العمل، وذكر الرب في هذا المقام(٥) يقوي رجاء العبد نيل الثواب الموعود به في في الآية، فإن الرب، وهو الناظر في مصلحة العبد المدبر لشئونه، لا

(١) أسرار التنزيل، ص ٢٢٣

(٢) سورة البقرة: الآية ١١٢

(٣) عبر عن إخلاص النفس بالوجه؛ لأنه أشرف الأعضاء ومجمع المشاعر، وموضع السجود، ومظهر آثار الخضوع، الذي هو من أخص خصائص الإخلاص. **ينظر:** تفسير أبي السعود، (١٤٧/١)

(٤) جزء من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه- أن النبي (ﷺ)كان يوماً بارزاً للناس، إذ أتاه أتاه رجل يمشي، فقال يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر " قال يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: " أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان" قال يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: " أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك..." أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: سورة لقمان، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: الإيمان ما هو وما خصاله؟

(٥) يعني عبر بقوله: " فله أجره عند ربه" ولم يقل مثلاً " فله أجره عند الله " يقول أبو السعود: ووضع اسم الرب مضافاً إلي ضمير " أسلم" موضع ضمير الجلالة، لإظهار مزيد اللطف به، أي: فله أجره عند مالكه ومدبر أموره، ومبلغه إلي كماله. **ينظر:** تفسير أبي السعود، (٢٤٠/١)

يغادر صغيرة ولا كبيرة من أعماله الصالحة إلا أحصاها، وأعد لها الجزاء الأوفى[١]. ويقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٢]، وقبول الله – تعالى– للعمل: أن يرضاه، أو يثيب عليه، وتصدير الدعاء بندائه تعالى باسم الرب المضاف إلي ضميرهما مظهر من مظاهر خضوعهما له تعالى، وإجلالهما لمقامه[٣]، والخضوع له تعالى وإجلال مقامه من أسنى المطالب التي تجعل الدعاء بمقربة من الاستجابة[٤].

ويقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٥]، لم يقل إبراهيم –عليه السلام– أسلمت لك، ليذكر الله – تعالى– بما يدل علي عظم شأنه ويشير إلي أن من كان رباً للعالمين، لا يليق بأحد من العالمين إلا أن يتلقي أمره بالخضوع وحسن الطاعة[٦]. الطاعة[٦].

٣- **عاقبة الاستجابة لله –تعالى– ولرسوله الحياة الطيبة في الدارين،** يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [٧]، والمعني: أجيبوا الله والرسول إذا دعاكم الرسول لما يحييكم الحياة الطيبة

(١) أسرار التنزيل، ص ٢٠٥
(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٧
(٣) يقول أبو السعود: والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن إفاضة ما فيه صلاح المربوب، مع الإضافة إلي ضميرهما –عليهما السلام– لتحريك سلسلة الإجابة. **ينظر:** تفسير أبي السعود، (٢٥٩/١)
(٤) أسرار التنزيل، ص ٢٣٣
(٥) سورة البقرة: الآية ١٣١
(٦) أسرار التنزيل، ص ٢٤١
(٧) سورة الأنفال: الآية ٢٤

في دنياكم وآخرتكم، وهي الطاعات، ولا ريب أن امتثال أوامر الدين واجتناب نواهيه يورثان الحياة الطيبة في الأولى والآخرة، ومما يحيي المؤمنين الحياة الطيبة: جهاد العدو المحارب، ذلك أن العدو إذا استولي علي الأمة قبض علي زمام أمرها بيد غاشمة، وأقام بينها وبين القوة العزة حواجز، فلا تعيش إلا في ضعف وذلة ونكد من العيش، وقتال العدو يدفع عنها هذه الكارثة، ويمكنها من أن تفوز بسلامة أعراضها وأموالها، وتتمتع بالحرية في إدارة شئونها، وابتغاء وسائل رفعتها، وإقامة شعائر دينها، والتقاضي إلي أحكام شريعتها، وذلك عين الحياة الطيبة في الدنيا، ووسيلة الحياة الطيبة في الآخرة[١].

٤- **صادق الإيمان لا يحزن من فوات محبوب،** يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[٢]، الولي: المؤمن الصادق؛ لأنه قريب من الله – تعالى- قرباً روحانياً، وهو القرب الذي يُنال بطهارة القلب، وخلوص النية، واستقامة الأعمال... والآية نفت الخوف علي أولياء الله -تعالى- من مكاره يوم القيامة، تلك المكاره التي تنقضي قلوب الموقنين عند توقعها فزعاً، وأما مكاره الدنيا فإنهم يسألون الله -تعالى- أن يكفيهم شرها، وإذا مسهم شيء منها، تلقوه بصبر جميل، ومتي نظروا إلي ما يترتب علي صبرهم من رضا الخالق، خف أثرها وحمدوا عاقبتها.....

(١) أسرار التنزيل، ص ٣٩٩
(٢) سورة يونس: الآيات ٦٢: ٦٤

وأولياء الله –تعالى– لا يمسهم ضرر، ولا يفوتهم خير، فلا يدركهم حزن في الحياة الآخرة البتة، وأما في الدنيا فقد يلحقهم ما يثير شيئاً من الحزن.... لكن يصاحبه الرضا بقضاء الله –تعالى– والحزن المصاحب للرضا بالقضاء في الدنيا يكسب صاحبه خيراً، ويعود عليه بأجر، فلا يراد نفيه عن أولياء الله..[1].

- **النبوات.**

النبوات: هي تبليغ شرع الله –تعالى– إلي الخلق بواسطة من اصطفاه سبحانه للتبليغ، وهي نعمة تفضل الله تبارك وتعالى بها علينا... والإيمان بالنبوة ركن من أركان الدين، وباب من أبواب النجاة، يقول ابن تيمية: والإيمان بالنبوة أصل النجاة والسعادة، فمن لم يحقق هذا الباب اضطرب عليه باب الهدى والضلال، والإيمان والكفر، ولم يميز بين الخطأ والصواب[2].

والإمام الخضر حسين تناول في تفسيره، بعض الأمور المتعلقة بالنبوة، من مقام الرسول، وعصمته، وتبليغه دعوة الله –تعالى– ... وسأذكر – بإذن الله تعالى– بعضاً مما تناوله الإمام في هذا الجانب.

١– **الرسالة لا تبعد الرسول عن مقام العبودية،** يقول الشيخ الخضر عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾[3]، العبد: يطلق علي الإنسان ولو كان حراً،

(١) أسرار التنزيل، ص ٤٠٨، ٤٠٩

(٢) النبوات، لابن تيمية، ص ٤٤٧، تحقيق: د/ عبدالعزيز بن صالح الطوبان، طبعة المجلس العلمي في الجامعة الإسلامية، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٢٣

باعتبار معنى عام هو عبوديته[١] لله –عز وجل– وعلي هذا أطلق فيه الآية مراداً منه النبي(ﷺ)، وفي إضافته إلي الله –تعالى– " عبدنا" تنبيه علي شرف منزلته عنده واختصاصه به[٢]، وفي ذكره (ﷺ) باسم العبودية، تذكير لأمته بهذا المعني، حتي لا يغلوا في تعظيمه، إلي أن يدعوا إلهيته كما غلت بعض الفرق في تعظيم أنبيائهم أو زعمائهم، فادعوا إلهيتهم[٣].

٢– **دعوة الرسول هي دعوة لله تعالى،** يقول الشيخ عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[٤]، "استجيبوا" أمر من الاستجابة، وهي الإجابة والامتثال، وطاعة الرسول هي طاعة لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾[٥]، ولكنه أمر بها بعد الأمر بطاعة الله تعالى؛ للدلالة علي وجوب طاعة الرسول فيما جاء به مما ليس في القرآن المجيد، وأكد هذا الأمر بإعادة حرف الجر مع حرف العطف، فقال: " وللرسول" مع صحة أن يقال: " والرسول"[٦].

والأمر بالاستجابة لله وللرسول يقتضي أن يقال: " إذا دعواكم" مسنداً إلي ضمير الاثنين، وإنما أفرد الضمير، فقال: " إذا دعاكم" تنبيهاً علي

(١)**ينظر:** أساس البلاغة، لمحمود بن عمرو الزمخشري (٦٣٠٩/١ دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولي ١٤١٩ه، ١٩٩٨م.
(٢) أشار إلي هذا المعني أبو السعود في تفسيره (٦٤/١)
(٣) أسرار التنزيل، ص ٤٦
(٤) سورة الأنفال: الآية ٢٤
(٥) النساء: ٨٠
(٦) أسرار التنزيل، ص ٣٩٧، ٣٩٨

أن دعوة الرسول هي دعوة لله –تعالى– فإسناد الدعوة إلي الرسول يغني عن إسنادها إلي الله تعالى[1]، وإنما قلنا: إن الضمير في قوله: " دعاكم" عائد إلي الرسول؛ لأن الرسول هو المباشر للدعوة، ولأنه أقرب مذكور في نظم الآية، وقوله تعالى: " لما يحييكم" يتعلق بقوله: " دعاكم"، والمعني: أجيبوا الله والرسول إذا دعاكم الرسول لما يحييكم الحياة الطيبة في دنياكم وآخرتكم، وهي الطاعات، ولا ريب أن امتثال أوامر الدين واجتناب نواهيه يورثان الحياة الطيبة في الأولى والآخرة[2].

٣- **الأنبياء معصومون،** يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾[3]، الفتنة: الابتلاء، أي: ظن عندما تسور الخصمان المحراب أنهما يريدان اغتياله، وأن الله قد أراد ابتلاءه بذلك، ثم تبين له بعد أن هذا الظن غير مصيب، وأنه وقع في ظن الأولى لمثله ألا يقع فيه، فبادر إلي طلب المغفرة من ذلك الظن، ولم يكتف داود –عليه السلام– بالاستغفار بل رجع إلي الله –تعالى– رجوعاً حقاً، وقدم بين يدي توبته عملاً صالحاً، ذلك ما دل عليه قوله: " وخر راكعاً"، فغفر له ذلك، وهو الظن المفهوم من قوله تعالى: " وظن داود أنما فتناه"، وقد عرفت أن الظن ليس بذنب، أو ليس فيه فعل محظور، ولا

(١) يقول الزمخشري: " إذا دعاكم" وحد الضمير كما وحده فيما قبله، لأن استجابة رسول الله(ﷺ) كاستجابة الله –تعالى–، وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد. **ينظر:** الكشاف، (٢/٢١٠)

(٢) أسرار التنزيل، ص ٣٩٧، ٣٩٨

(٣) سورة ص: الآيتان ٢٤، ٢٥

ترك واجب، وإنما هو مقام النبوة والرسالة يستدعي الأخذ بالأكمل في كل حال، فإذا لم يأخذ الرسول بالأكمل، رأي نفسه بمنزلة من لم يأخذ بالواجب من سائر المكلفين، واستغفر لما أتي من غير الأكمل، وصح أن يسمي عدم مقابلته بالعقاب: مغفرة وعفوا(١).

٤- **الله –تعالى- أقام الأدلة علي صدق رسوله**، يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾(٢)، لما ذكر تعالى أن اقتراح ما تقدم من تكليم الله –تعالى–، أو إتيان آية إنما هو صادر من قوم لا يعلمون، أخبر في هذه الجملة بأنه قد أقام علي صدق رسالة النبي(ﷺ) آيات بينات يفقهها قوم يوقنون، وهم من شأنهم الإخلاص في طلب الحق أينما كان، يتجهون إليه من طريق الأدلة الصحيحة بقلوب نقية من الأهواء، ونفوس مبرأة من التقليد، وعقول لا تتعثر في الشبهات، فإذا وصلوا إلي حقيقة تقبلوها بارتياح وإذعان، أما من غلبت عليهم الأهواء واستحوذ عليهم العناد، فلا يرجى منهم أن يفتحوا أعينهم في الآيات، وينتفعوا بها، وإن كانت أوضح من الشمس المشرقة، كما قال تعالى في شأنهم: ﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴾(٣).

اليوم الآخر:

(١) أسرار التنزيل، ص ٤٢٩، ٤٣٠
(٢) سورة البقرة: الآية ١١٨
(٣) أسرار التنزيل، ص ٢١٧، ٢١٨، والآيتان من سورة الحجر: ١٤، ١٥

اليوم الآخر هو: يوم القيامة، وسمي بذلك لأنه آخر أيام الدنيا، ويطلق عليه أسماء أخري ذكرها أهل العلم، وأوردوا أدلتها، وبينوا معانيها في كتبهم[١].

والإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان، ومعني الإيمان به هو الإيمان بكل ما أخبر به سبحانه وأخبر به رسوله (ﷺ) مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه وأهوال يوم القيامة، والشيخ الخضر تعرض في تفسيره، لبعض الجوانب المتعلقة باليوم الآخر مع ذكر الهدايات القرآنية في الآيات الواردة في هذا الشأن، فمن هذه الجوانب:

١- **الإيمان بالآخرة يظهر أثره في الجوارح والأركان،** يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[٢]، " يوقنون" من الإيقان، وهو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع بحيث لا يطرأ عليه شك، ولا تحوم به شبهة[٣]، وإيراد الضمير "هم" قبل قوله "يوقنون" تعريض بغيرهم ممن كان اعتقادهم في أمر الآخرة غير مطابق للحقيقة[٤]، أو غير بالغ مرتبة اليقين، وللإيمان باليوم الآخر أثر عظيم في اجتناب

(١) **ينظر:** التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي، (٣٢٨/١) دار البخاري، المدينة المنورة، الأولي ١٤١٧ه، والعقيدة الوسطية، لابن تيمية مع شرحها للدكتور صالح الفوزان، ص ١٤٢، مكتبة المعارف، الطبعة الخامسة ١٤١٠ه.

(٢) سورة البقرة: الآية ٤

(٣) يقول مرتضى الزَّبيدي في تاج العروس (٣٠/٣٦) مادة: (يقن) واليقين: إزاحة الشك، والعلم وتحقيق الأمر، ونقيضه الشك، وفي الاصطلاح: اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا مطابقاً للواقع غير ممكن الزوال والقيد.

(٤) يقول الطاهر بن عاشور: فالتعبير عن إيمانهم بالآخرة بمادة الإيقان؛ لأن هاتة المادة تشعر بأنه علم حاصل عن تأمل وغوص الفكر في طريق الاستدلال؛ لأن الآخرة لما كانت حياة غائبة عن المشاهدة، غريبة بحسب المتعارف، وقد كثرت الشبه التي حيرت المشركين والدهريين علي نفيها وإحالتها، كان الإيمان بها جديراً بمادة: الإيقان بناءاً علي أنه أخص من الإيمان. **ينظر:** التحرير والتنوير، (٢٤٦/١)

الشر، والاستكثار من الخير، ففي وصف المتقين به تنبيه علي الوجه الذي أحرزوا به الغاية من تقوي الله –تعالى– في السر والعلن[١].

٢ – **لا نجاة من هول يوم القيامة إلا بالإيمان والعمل الصالح**، يقول الشيخ عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾[٢]، ومعني اتقاء اليوم، وهو يوم القيامة[٣]، الحذر مما يجري فيه من فزع وعذاب والحذر منه: بالسير علي صراط الله المستقيم حسب الاستطاعة، فكأنه يقول: واستضيئوا بنور الإيمان، وأطيعوا الله فيما يأمر به أو ينهي عنه، وبهذه السيرة تسلموا من هول يوم القيامة وعذابه المهين، ﴿ لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ وقد أتي القرآن الكريم إلي كل ما يحتمل أن يكون وسيلة إلي النجاة يوم القيامة، فنفاه نفياً باتاً، حتي يعلم الجاحد بآيات الله، الفاسق عن أمره، أن ليس هناك وسيلة ترجى للخلاص من عذاب، والفوز بنعيم غير الإيمان وحسن الطاعة، ذلك أن المأخوذ بحق إما أن يجد من ينوب عنه في أداء الحق، فقال تعالى: " لا تجزي نفس عن نفس شيئاً"، وإما أن يجد وجهاً عند المطالب له بالحق، فيسأل له العفو، فقال تعالى: " ولا يقبل منها شفاعة"، وإما أن يقدم إلي المطالب

---

(١) أسرار التنزيل، ص ١٩، ٢٠

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٨

(٣) وصف اليوم بهذا الوصف، ولم يقل مثلاً: يوم القيامة؛ للإشعار بأن التصرف في ذلك اليوم، والأمر كله لله –تعالى– فليس فيه ما اعتاد الناس في هذه الدنيا من دفاع بعضهم عن بعض، بل تضمحل في ذلك اليوم جميع الوسائل، إلا ما كان من إخلاص العمل، ورحمة العلي الكبير، وأنه يوم لا يتحرك فيه عفو إلا بإذنه، ولا يقدر أحد أن يتكلم بكلمة إلا بإذنه: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾[الانفطار:١٩] **ينظر:** تفسير المنار، (٣٥٣/١)

بالحق بدلاً من هذا الحق علي ما عرف في الدنيا باسم الفداء، فقال تعالى: " ولا يؤخذ منها عدل"، وإما أن يجد ذا قوة يعينه ويمنعه ممن يريد عقابه، فقال: " ولاهم ينصرون"(١).

وقال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾(٢)، تضمنت هذه الآية معني الآية السابقة، وأعيد هذا المعني تأكيداً له وتثبيتاً له في القلوب(٣)، ذلك أن معني متي غلب استحضاره علي قلب من يتدبر العواقب، يكف يده عن كل شر، ويصير مصدراً لكل خير، ولا ريب أن من تيقن أنه سيشهد يوماً ذا أهوال لا ينفع الإنسان فيه إلا إيمانه، وصالح عمله وهو يوم الجزاء، اتجه به الحذر من سوء العاقبة إلي التمسك بأسباب السلامة، والفوز في ذلك اليوم، ومعني اتقاء يوم الجزاء: اتقاء ما يلاقيه الناس فيه من أهوال، واتقاؤها بأداء الواجبات واجتناب المحظورات(٤).

٣- **منكر اليوم الآخر يطلق لنفسه العنان تفعل ما تشاء،** يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

(١) أسرار التنزيل، ص ٩١: ٩٣
(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٣
(٣) يقول أبو السعود: وتخصيصهم بتكرير التذكير وإعادة التحذير للمبالغة في النصح، وللإيذان بأن ذلك فذلكة القضية ،والمقصود من القصة أن نعم الله-عزو جل-عليهم أعظم، وكفرهم بها أشد وأقبح. **ينظر:** تفسير أبي السعود، (١/١٥٤)
(٤) أسرار التنزيل، ص ٢٢٣، ٢٢٤

صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾[١]، والجاحدون باليوم الآخر لا يبالون أن يرتكبوا القبائح، ويبسطوا أيديهم في البغي، إلا حيث يخشون أن تراهم أعين الناس وتنالهم عقوبة من ذي سلطان[٢].

المطلب الثاني: الشريعة.

القرآن الكريم هو المصدر الأول للشريعة، كما أنه المصدر الأول للعقيدة، فالإسلام إيمان يصدقه العمل، والعقيدة هي المعبرة عن الإيمان، والشريعة هي المعبرة عن العمل[٣]، ومن العمل ما يتعلق بعلاقة الإنسان بربه كالعبادات الشعائرية الكبرى مثل الصلاة والزكاة والحج، ومن العمل ما يتعلق بعلاقة الإنسان بمجتمعه، ومن العمل ما يتعلق بالأمور المالية، ومنه ما يتعلق بالأمور السياسية بين الدول بعضها وبعض.

والإمام الخضر حسين في تفسيره اهتم بإبراز جانب الهدايات القرآنية في الآيات التي تحدثت عن العبادات، والأمور المالية، والعلاقات الاجتماعية والسياسية...

وسأذكر –بإذن الله تعلى– بعضاً من هذه الهدايات التي تناولها الإمام في تفسيره.

أولاً: العبـــــادات.

١ –**الخشوع في الصلاة،** يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[٤]، والصلاة التي يستعان بها علي القيام بالطاعات ومخالفة الأهواء، والاطمئنان عند مفاجأة المصائب، هي الصلاة التي يستحضر فيها المصلي جلال الله، ويتدبر

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٧
(٢) أسرار التنزيل، ص ٣١٣
(٣)**ينظر:** كيف نتعامل مع القرآن، د/ يوسف القرضاوي، ص ٣٥
(٤) سورة البقرة: الآية ١٥٣

فيما يجري علي لسانه من قرآن وذكر، وإن شئت فقل: هي الصلاة التي يلين فيها قلبه خشوعاً، والمفهوم من مقاصد الشريعة: أن الإنسان لا يثاب من صلاته علي الأجزاء التي قضاها وقلبه مشغول بأمور دنيوية صرفة[1].

نعم صلاة الخاشع هي الصلاة التي تعظم بها الثقة بالله –تعالى– وتصغر بمناجاته فيها كل متاعب الحياة، وتصرف القلب عن التعلق بغير الله –تعالى–، وتملأه بذكره –تعالى–، فتنسيه ما بينه وبين الناس، وتستحضر عظمته سبحانه، وأنه فوق قوى البشر...، فالذي يصلي معتمداً علي جرس الذكر، وحركات الأعضاء فقط، دون أن تكون للصلاة سلطان علي قلبه تراه أضعف الناس قلباً وأشدهم اضطراباً إذا عرض له شيء علي غير ما يهوون، وما كان المصلي ولا الذاكر أن يكون ضعيف القلب عادم الثقة بالله تعالى، وهو جل ثناؤه يبرئ المصلين من الجزع: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾[2]، لذا لم يعلل الله –تعالى– الاستعانة بالصلاة في الآية، كما علل الاستعانة بالصبر خاصة " إن الله مع الصابرين" فهو المحتاج إلي التعليل، وأما الصلاة فحيث كانت عند المؤمنين أجل المطالب، كما ينبئ عنه قوله(ﷺ): " وجعلت قرة عيني في الصلاة "[3]، وكان(ﷺ) " إذا حزبه أمر صلى"[1]، فإذا كانت هذه هي منزلة الصلاة، لم يفتقر الأمر بالاستعانة بها إلي التعليل[2].

(١) أسرار التنزيل، ص ٢٧٧
(٢) سورة المعارج: الآيات ١٩: ٢٣
(٣) جزء من حديث تمامه: " حبب إلي من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة "، أخرجه الحاكم النيسابوري في "المستدرك علي الصحيحين" في كتاب النكاح، وقال: هذا الحديث علي شرط مسلم، ولم يخرجه، (١٧٤/٢) دار الكتب العلمية،

ويقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾[٣]، وكانت الصلاة معينة علي النهوض بالأعمال الجليلة، من جهة أنها عبادة يقوم بها العبد في كل يوم خمس مرات، يناجي فيها ربه، ويقرأ فيها من القرآن ما فيه حكمة وموعظة حسنة، فتزكو نفسه، وتصفو سريرته، ويستمر هذا الحال في غير أوقات الصلاة، حتي إذا حضر وقت عمل واجب غير الصلاة، وجد في نفسه إقبالاً عليه، واستهانة بكل ما يلاقيه في سبيل الله من مكاره وآلام. "وإنها لكبيرة إلا علي الخاشعين"، كبيرة: صعبة شاقة، يقال: كبر الشيء: إذا شق وثقل؛ كما قال تعالى: ﴿ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[٤]، و "الخاشعين": من الخشوع، وهو في الأصل: اللين والسهولة[٥]، ومعناه في الآية: الخضوع والاستكانة لله –عز وجل–، وضده الاستكبار[٦]، والمعني: أن الصلاة صعبة إلا علي الخاضعين الذين أسلموا وجوههم لله[٧]، والصلاة من

بيروت، طبعة ١٤١١ه، ١٩٩٠م.

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب التطوع، باب: وقت قيام النبي (ﷺ) من الليل، دار الكتاب العربي – بيروت، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب الحادي والعشرين من شعب الإيمان، وهو باب في الصلوات، " تحسين الصلاة والإكثار منها" دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢)**ينظر:** تفسير أبي السعود، (١٧٩/١)، والمنار، (٢٧/٢)، وزهرة التفاسير، (٤٦٨/١)

(٣) سورة البقرة: الآية ٤٥

(٤) سورة الشورى: جزء من الآية ١٣

(٥)**ينظر:** معجم المقاييس، (١٨٣/٢) مادة: خشع.

(٦)**ينظر:** تفسير الطبري، (٢٦٠/١)

(٧) وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾

حيث أنها قيام وركوع وسجود وجلوس ليس فيها صعوبة، والصعوبة من جهة أن الصلاة بحق ما يدخلها المصلي بقلب حاضر، فيؤديها مبتغياً رضا الله، تالياً القرآن بتدبر، ناطقاً بالدعوات والأذكار التي تشتمل عليها عن قصد إلي كل معنى، دون أن تجري علي لسانه، وهو في غفلة عن معانيها التي هي روح العبادة. ويضاف إلي هذا في معني صعوبة الصلاة: أنها فريضة شرعت لأن يقيمها العبد في كل يوم خمس مرات مدي الحياة، وإنما كانت سهلة علي الخاشعين؛ لإيقانهم أنها من أهم وسائل الفلاح في الدنيا، والسعادة في الآخرة، ولأنهم يجدون عند أدائها ارتياحاً واطمئناناً يجعل نفوسهم ناشطة للقيام بها كلما حل وقتها[1].

٢- **فريضة الزكاة**، يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[2]، الضمير في قوله: " علي حبه " عائد إلي المال، والأموال منها ما من شأنه أن يحب، وهو الطيب، ومنها ما لا يرغب فيه، وهو الخبيث، أي: الرديء. وإيتاء المال الذي يدل علي صدق إيمان صاحبه، ويرتقي به

[الشورى:١٤] ، أي: شق عليهم وأنكروا ما تدعوهم إليه من التوحيد. **ينظر:** تفسير ابن كثير (١٩٥/٧)، ومثله قول النبي(ﷺ)لمعاذ بن جبل –رضي الله عنه- حين سأله: يا رسول الله أنبئني بعمل يدخلني الجنة ويبعدني عن النار؟ قال: " لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير علي من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان.." الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك، في كتاب التفسير، باب: تفسير سورة السجدة.

(١) أسرار التنزيل، ص ٨٩، ٩٠

(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٧

إلي منازل الأبرار، إنما هو بذل ما كان محبوباً له، وهو نفائس الأموال والطيبات من الرزق، كما قال تعالى: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾(١)...، ويعطي المسافر الغني في بلده من الصدقات إذا لم يمكنه الاستقراض، فإن أمكنه الاستقراض، خرج عن أن يكون أهلاً لقبول الصدقات، وفي هذا تنبيه علي أن المسلمين، وإن اختلفت أوطانهم ينبغي أن يكونوا في التعاطف والتعاون علي مرافق الحياة كأسرة واحدة(٢)....، " وأقام الصلاة وآتي الزكاة": ذكر في خصال البر: مواساة الخلق إذ قال: " وآتى المال"، فدل علي أنه لا بر إلا لمن يكون رحيم القلب، سريع العطف علي ذوي الحاجات ما استطاع، وعطف علي ذلك خصلة أخرى ترجع إلي التزامه القيام بما يأمره الله به من حسن الطاعة، فقال: " وأقام الصلاة وآتي الزكاة"، وإقامة الصلاة: أداؤها في مواقيتها مستوفية لأركانها وآدابها، والزكاة يراد بها: الزكاة المفروضة علي الوجه المفصل في السنة. وما تقدم من إيتاء ذوي القربي، وما عطف عليهم يراد منه: نوافل الصدقات. وإيتاء الزكاة: وضعها في أيدي مستحقيها من الفقراء والمساكين، أو تسليمها لمن يصرفها في مواضعها المنصوص عليها في قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٢

(٢) هذا مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠]، ولقول النبي(ﷺ): مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى" رواه مسلم في صحيحة، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.
ولقوله(ﷺ): المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً " رواه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾(١).

٣- **فريضة الصيام**، يقول الشيخ عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾(٢)، وحكمة التذكير بأن الصيام قد فرض علي الأمم السابقة: تخفيف وقعه علي النفوس؛ حيث إن الصائم يكف نفسه عن كثير من الشهوات التي اعتاد التمتع بها، فإذا قيل له: إن هذه العبادة قد فرضت علي أمم من قبلنا، وأفهم السياق أنهم لم يهملوها، خف عليه أمرها، وأقبل علي أدائها بنفس مطمئنة.

" لعلكم تتقون": هذه الجملة واقعة موقع التعليل لقوله تعالى: " كتب عليكم الصيام"، والمعني: فرض عليكم الصيام؛ لتدخلوا في زمرة أهل التقوى، ذلك أن الصيام يكف النفوس عن كثير مما تنزع إليه النفس من خواطر السوء(٣)، ويربي فيها ملكة الصبر، ومغالبة طغيان الشهوات، ويروضها إلي عمل الخير مقبلة عليه راغبة فيه، وبهذه السيرة يبلغ العاملون أسنى منازل البر والتقوي(٤).

(١) أسرار التنزيل، ص ٣١٤، ٣١٥، والآية من سورة التوبة: ٦٠
(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٣
(٣) لأن الصائم أردع نفسه عن إتيان السوء، لقول النبي(ﷺ): " من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب: الصوم لمن خاف علي نفسه العزوبة، أي: خاف أن يقع في الزنا لعدم الزواج وبعده عنه، والوجاء: القاطع للشهوة. **ينظر:** إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد القسطلاني (٦/٨) المطبعة الكبرى الأميرية بمصر، الطبعة السابعة ١٤٢٣ه.
(٤) أسرار التنزيل، ص ٣٣٤، ٣٣٥

٤- **فريضة الحج**، يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾[١]، " ليشهدوا منافع لهم": هذا تلبية للغرض المقصود من إتيانه البيت الحرام رجالاً وركباناً، فقوله تعالى: " ليشهدوا" يتعلق بقوله: " يأتوك"، ويشهد: من الشهود، بمعني: الحضور[٢]، والمنافع: جمع منفعة، وهي ما يحصل للإنسان من خير[٣]، ودل علي أن هذه المنافع عائدة إلي الحجاج خاصة بقوله: " لهم"، والمعنى: يأتوك ليحضروا؛ يدركوا منافع مختصة بهم، ووردت المنافع في الآية مطلقة، فتشمل المنافع الدينية والدنيوية[٤].

أما الدينية، فمغرة الله ورحمته ورضوانه التي يظفر الحاج بها عند أداء مناسك الحج؛ من نحو: الإحرام، والطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة، ولا يريد بذلك إلا إجابة دعوة الحق.

وأما المنافع الدنيوية، فالتجارة، والقصد إليها –بعد القصد إلي أداء فريضة الحج– لا يخل بالإخلاص الكافي لاستحقاق المثوبة من الله.

---

(١) سورة الحج: الآيتان ٢٧، ٢٨

(٢) يقول ابن فارس: الشين والهاء والدال: أصل يدل علي حضور وعلم واعلام، لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرناه، من ذلك الشهادة: يجمع الأصول التي ذكرناها من الحضور، والعلم والإعلام. **ينظر**: مقاييس اللغة (٢٢١/٢) مادة: شهد.

(٣) يقول الأزهري: النفع: ضد الضر، وفلان ينتفع بكذا وكذا... ويقال: رجل نفاع: إذا كان ينفع الناس ولا يضرهم. **ينظر**: التهذيب في اللغة، (٦/٣) باب العين والنون.

(٤) روى الطبري في تفسيره، (٦٩/١٨) عن مجاهد: " ليشهدوا منافع لهم" قال: التجارة وما يرضي الله من أمر الدنيا والآخرة، وقد أيد الطبري هذا الرأي ورجحه بقوله: وأولي الأقوال بالصواب: قول من قال :عنى بذلك: ليشهدوا منافع لهم من العملالذييرضياللهوالتجارة،وذلكأناللهعمّلهممنافعجميعمايَشْهَدلهالموسم،ولميخصصمنذلكشيئامنمنافعهمبخبرولاعقل،فذلكعلىالعمومفيالمنافع

وضابط ذلك: أن يعزم علي أداء فريضة الحج، ويشعر في نفسه أن التجارة إنما جاءت عرضاً؛ بحيث لو عرض له مانع من تعاطي التجارة، لم يثن عزمه عن الحج أو يصبه وهن، واستمر علي قصد الحج، والإقبال عليه بصدر منشرح وقلب سليم.

وللحج فوائد كثيرة العدد، عظيمة الخطر، من أهمها: التعارف، ثم التوادد، ثم الاتحاد، ثم التعاون علي إقامة المصالح العامة، ودفع الأخطار الفادحة. ولو اتجهت أنظار الشعوب الإسلامية إلي هذه الغاية الخطيرة بعناية، وعملوا لها بحكمة وحزم، لوجدوا أكبر مساعد علي أن تتوافق آراؤهم، وتتقارب مشاربهم، تتماثل مراميهم، فيستعيدوا سيادتهم، ويعيشوا في عزة وطمأنينة[1].

ثانياً: علاقة الإنسان بمجتمعه.

١ -**أمر الناس بالمعروف**، يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[2]، النسيان بمعني: ترك العمل، علي طريقة استعمال اللفظ فيما يكون لازماً لمعناه الأصلي[3]، فإن من نسي شيئاً ترك العمل به لا محالة... والداعي إلي حمل النسيان علي معني الترك. أن الناسي حقيقة غير مؤاخذ علي ما نسيه، فلا يستحق هذا التوبيخ الشديد الوارد في الآية، ومن الواضح أن التوبيخ متوجه إلي نسيانهم أنفسهم، أي تركهم العمل بما يأمرون به،

(١) أسرار التنزيل، ص ٤١٧، ٤١٨

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٤

(٣) ذكر في أغلب المعاجم العربية: أن النسيان. ضرب من الترك وضع موضعه. **ينظر:** أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، (٢٦٨/٢) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ه، ١٩٩٨م، ولسان العرب، لابن منظور، (٣٢٣/١٥) دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤ه.

لا إلي أمر الناس بالبر، فإن الأمر بالخير في نفسه فعل محمود، ولو صدر ممن لا يفعل الخير[١]، إذ ليس من شرط وجوب الأمر بالمعروف أن يكون الأمر عاملاً به، وإنما عمله بما يأمر يجعل وعظه قريباً من القلوب جديراً بأن يتلقي القبول[٢].

٢- **الإحسان إلي الجار**، يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ [٣] ، " ولا تخرجون أنفسكم من دياركم" الديار: جمع دار، وهي المسكن[٤]، والمعني: لا يخرج بعضكم بعضاً من مساكنهم، ويدخل في معني الإخراج من الديار: أن يتصدى الرجل لإيذاء جاره حتي يلجئه إلي الخروج من داره تخلصاً من شره، وقال: " ولا تخرجون أنفسكم من دياركم"[٥]، فجعل جلاءهم غيرهم من مساكنهم إجلاءً لأنفسهم، فنبه بذلك علي أن الآمة المتواصلة بالدين أو النسب، بالغة من الوحدة

(١) يقول ابن كثير: والغرض: أن الله –تعالى- ذمهم علي هذا الضيع، ونبههم علي خطئهم في حق أنفسهم، حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه، وليس ذمهم علي أمرهم بالبر مع تركهم له، بل علي تركهم له، فإن الأمر بالمعروف معروف، وهو واجب علي العالم، ولكن الأولى بالعالم أن يفعله مع أمرهم به، ولا يتخلف عنه، كما قال شعيب –عليه السلام-: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾[هود:٨٨]، فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب، لا يسقط أحدهما بترك الآخر علي أصح قولي العلماء من السلف والخلف. ينظر: تفسير ابن كثير (٢٤٧/١) دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠ه، ١٩٩٩م.

(٢) أسرار التنزيل، ص ٨٦، ٨٧

(٣) سورة البقرة: الآية ٤٨

(٤) **ينظر:** لسان العرب (٢٩٥/٤) مادة: دور.

(٥) يقول أبو حيان في تفسيره (٢٤٨/١) لا يخرج بعضكم بعضاً، أو لا تسيئوا جوار من جاوركم فتلجئوهم إلي الخروج من دياركم، أو لا تفعلوا ما تخرجون به أنفسكم من الجنة التي هي داركم، أو لا تخرجون أنفسكم، أي: إخوانكم، لأنكم كنفس واحدة، أو لا تفسدوا فيكون سبباً لإخراجكم من دياركم، كأنه يشير إلي تغريب الجاني...

بحيث يعد قتل الرجل لغيره إنما هو قتل لنفسه[١]، وإخراجه من منزله إنما هو إخراج لنفسه[٢].

٣- **التمسك بالجماعة**، يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾[٣]، قال: "نعبد" بنون الجماعة، ولم يقل: أعبد، ليدل علي أنه يعبده في جماعة المؤمنين، ويشعر بأن المؤمنين المخلصين يكونون في اتحادهم وإخائهم، بحيث يقوم كل واحد منهم في الحديث عن شؤونهم الظاهرة وغير الظاهرة مقام جميعهم[٤].

٤- **احترام الناس**، يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٥]، قوله: " وقولوا انظرنا": نهي المسلمين عن أن يقولوا في خطاب النبي(ﷺ): راعنا، وأمرهم بأن يقولوا مكانها: " انظرنا"، وهي من نظر بمعني: انتظر، وتقول: نظرت الرجل أنظره: إذ انتظرته وارتقبته، وبهذا المعني ورد قوله تعالى: ﴿ انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾[٦]، وفي الآية تنبيه لأدب جميل[٧]، هو أن الإنسان يتجنب في مخاطباته بالألفاظ التي توهم جفاءً جفاءً أو تنقيصاً في مقام يقتضي إظهار مودة أو تعظيم[٨].

---

(١) لقول النبي (ﷺ): المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً" أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

(٢) أسرار التنزيل، ص ١٥٣

(٣) سورة الفاتحة: الآية ٥

(٤) أسرار التنزيل، ص ١٠٠

(٥) سورة البقرة: الآية ١٠٤

(٦) سورة الحديد: الآية ١٣

(٧) يقول القرطبي: في هذه الآية دليلان : أحدهما : على تجنب الألفاظ المحتملة التي فيها التعريض للتنقيص والغض ، والثاني : التمسك بسد الذرائع ... والأربعة عبارة عن أمر غير ممنوع، يخاف من ارتكابه الوقوع في الممنوع، ووجد التمسك بها: أن اليهود كانوا يقولون: راعنا، وهي سب بلغتهم، فلما علم الله -تعالى- ذلك منهم منع إطلاق ذلك اللفظ؛ لأنه ذريعة للسب.. ينظر: تفسير القرطبي، (١٥٨/٢)، وزهرة التفاسير، لأبي زهرة، (٢٤٧/١)

(٨) أسرار التنزيل، ص ١٩١

ويقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴾[١]، قوله: " وقولوا للناس حسنا" حقوق الناس في حسن المعاملة متفاوتة، فأحقهم بالإحسان الوالدان؛ لما لهما من فضل الولادة والعطف والتربية، ثم أولوا القربى؛ رعاية لحق القرابة، ثم اليتامى لقصور أيديهم وضعفها عن الكسب، ثم المساكين لسد حاجتهم، والفوز بثواب الرحمة بهم، وسائر الناس ممن ليسوا في حاجة إلي الإحسان إليهم بالفعل، يكفي في البر بهم أن يلاقيهم الإنسان بالطيب من القول، ويجيبهم بما يحب أن يجاب به[٢]، وهذا النوع من الإحسان سهل علي النفوس، بحيث يستطيع الإنسان متي قدر فضل التودد لخيار الناس قدره أن جري عليه في كل حال[٣].

بني إن البر شيء هين[٤] وجه طليق ولسان لين[٥]

٥- **عدم العيش عالة علي الناس،** يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ

(١) سورة البقرة: الآية ٨٣

(٢) يقول أبو حيان في تفسيره، (٤٥٣/١)، " وقولوا للناس حسناً" ولما كان القول سهل المرام، إذ هو بدل لفظ لا مال، كان متعلقاً بالناس عموماً؛ إذ لا ضرر علي الإنسان في الإحسان إلي الناس بالقول الطيب.

(٣) في الحديث عن أبي ذر –رضي الله عنه- قال: قال لي النبي(ﷺ): "لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقي أخاك بوجه طلق" أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب: استحباب إطلاق الوجه عند اللقاء.

(٤) البيت غير منسوب في اللآلئ في شرح أمالي القالي، (٧٣/١) لعبد الله بن عبد العزيز البكري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤١٧ه، ١٩٩٧م.

(٥) أسرار التنزيل، ص ١٥٠

وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[1]، العزم علي الشيء: عقد الضمير علي فعله[2]، والتوكل علي الله: الاعتماد عليه، والثقة به، والآية ظاهرة في أن التوكل يكون عند تعاطي الأسباب، فقد أمرت بالتوكل عند العزم علي العمل، فهنالك عزم وعمل يقارنهما التوكل، وفي هذا رد علي من يتوهم أن التوكل نفض اليد من الأسباب جملة، ومن أثر هذا التوهم: أن وجد في الأمة أشخاص يرضون بأن يكونوا عالة علي الناس[3]، وهم قادرون علي أن يقوموا بمطالب حياتهم، ويعيشوا في عزة وكرامة[4].

٦- **عدم الاستماع لمثبطي الهمم**، يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[5]، هذا تسلية لرسول الله (ﷺ) عما كان المشركون يؤذونه به من أقوال جافية، ولم يبين في الآية ماذا قالوا[6]،...وأطلق القول ليتناول كل ما يتفوهون به في حقه من المقالات الخاطئة، وموضع العبرة من هذا أن يقف الداعي إلي الحق موقف العزم والثبات، فلا يقيم لما يقوله الذامون أو المتهكمون به وزنا، ويضرب به وراء أذنه، ونرى ضعيف الإيمان بما

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩
(٢) يقول ابن فارس: العين والزاي والميم أصل صحيح، يدل علي الصريمة والقطع. يقال: عزمت عليك إلا فعلت كذا، أي: جعلته أمراً عزماً. **ينظر:** المقاييس، (٤٠٨/٤)
(٣) والإسلام يحرم أن يعيش المسلم عالة علي أحد، ففي الحديث أن النبي(ﷺ)قال لسعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه-: " إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، ولن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتي ما تجعل في جوف امرأتك" أخرجه البخاري في كتاب: المرضى، باب: عيادة المريض راكباً وماشياً وردفاً علي الحمار.
(٤) أسرار التنزيل، ص ٣٩٤
(٥) سورة يونس: الآية ٦٥
(٦) تفسير أبي السعود، (١٦١/٤)

يدعوا إليه هو الذي يحزن لأقوال المبطلين حزناً يثبطه عن الدعوة، أو يصرفه عنها متكئاً علي أن ما يلاقيه من الأذى عذر يبيح له أن يسكت مع الساكتين(١).

٧- **الاهتمام بأمن المجتمع**، يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٢)، قوله: "الألباب": جمع لب، وهو العقل الخالص من شوائب الأوهام(٣)، أو العقل الذي، وهو ما لا يبطئ في استبانة الحقائق، واستخراج لطائف المعاني من مكانها، وخص النداء بأولي الألباب، مع أن الخطاب بحكمة القصاص شامل لهم ولغيرهم؛ لأنهم هم الذين يتدبرون عواقب الأمور، ويعرفون قيمة الحياة، ويقدرون حِكَم التشريع قدرها، وفي هذا النداء علي أن من ينكرون مصلحة القصاص، وأثره النافع في تثبيت دعائم الأمن يعيشون بين الناس بعقول غير سليمة، ولا يزال الناس يشاهدون في كل ما يثيره القتل في صدور أولياء القتلى من أحقاد طاغية، لولا أن القصاص يخفف من سطوتها، لتمادت بهم في تقاطع وسفك دماء دون الوقوف عند حد(٤).

ثالثاً: من الأمور المالية: الوصية.

يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ

(١) أسرار التنزيل، ص ٤١١
(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٩
(٣)**ينظر:** مقاييس اللغة (٢٠٠/٥) مادة لب.
(٤) أسرار التنزيل، ص ٣٢٣

بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]، وعدل عن الخطاب، فلم يقل: عليكم، ووضع المتقين موضع ضمير الخطاب؛ تأكيداً للأمر بالوصية[2]، إذ يشعر أن القيام بالوصية والمحافظة عليها من شعائر المتقين، فمن أهملها فقد رضي لنفسه الحرمان من الدخول في صفوفهم، وفاته أن يحشر يوم القيامة في وفدهم[3].

رابعاً: من العلاقات السياسية: الشورى.

يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[4]، قوله: " وشاورهم في الأمر" المشاورة في الأمر: المراجعة فيه لاستطلاع الرأي الصالح[5]، أي: راجعهم في الأمر لترى رأيهم فيه، والمراد من الأمر: ما يعرض من أور الدنيا من نحو تدبير الحروب، وأما أمور الدين فقد أغناه الله –تعالى– عن الشورى فيها بما ينزل عليه من الوحي[6]، وهذه الآية قررت أصلاً عظيماً من أصول السياسة الراشدة، وهو: أن لا يستبد ولي أمر في تصريف الأمور دون أن يأخذ رأي أولي العلم، وقد قررت هذا الأصل

(١) سورة البقرة: الآيات ١٨٠: ١٨٢

(٢) كان السياق في غير القرآن أن يقال: حقاً عليكم، ولكنه وضع المتقين موضع الضمير، تشريفاً لرتبة التقوى، وليتبادر الناس إلي الوصية، وترغيباً في الرضا بها، وللإشارة إلي أن المتقين هم الذين يطيعون الله –تعالى– اتقاء غضبه، وابتغاء رضوانه، وهم الذين يسارعون بإجابته، وأنهم ينفذون في دائرة المعروف غير المذكور، ينظر: تفسير ابن عطية (٣٤٨/١)، والتحرير والتنوير (١٤٨/٢)، وزهرة التفاسير (٥٤٦/١).

(٣) أسرار التنزيل، ص ٣٢٦

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٥٩

(٥) يقول ابن فارس: الشين والواو والراء أصلان، الأول: إبداء شيء وإظهاره. **ينظر:** مقاييس اللغة (٢٢٦/٣) مادة: شور.

(٦)**ينظر:** تفسير ابن كثير (١٥٠/٢)

بأبلغ وجه، إذ وجهت الأمر فيه إلي أكبر الناس عقلاً، وأعرفهم بطرق المصالح، وأقلهم حاجة إلي الاستعانة برأي غيره، وهو أكمل الخليقة (ﷺ) فليس لأحد بعد هذا أن يتخيل أنه في غني عن المشاورة بما أوتي من كمال العقل وسداد الرأي، وفي الشورى: استبانة الرأي الحق من بين آراء متعددة، وفيها تطيب خواطر من يهمهم أن يدير الأمر علي بصيرة، وفيها تأليف قلوبهم؛ بما في مراجعة ولي الأمر لهم من التنبيه علي رفعة أقدارهم في نظره.

وقد يتوهم الرجل: أن الاستشارة تنبئ عن الاحتياج إلي رأي غيره، فهي من علامات اعتقاده بضعف رأيه، والحقيقة: أن الإنسان – وإن بلغ عقله الغاية– لا يستغني عن الاستعانة في مشكلات الأمور بآراء الرجال؛ إذ العقول قد تكون نافذة في ناحية من الأمر، واقفة عند الظاهر في ناحية أخرى منه، ولعلك لا تجد عقلاً في الناس ينفذ في كل ناحية وجهته إليها، ومن أدرك هذه الحقيقة، عرف يقيناً أن احتياج الإنسان إلي الاستشارة من مقتضيات الفطرة البشرية، ومن يجري علي مقتضى الفطرة البشرية ليس في طاقته الخروج عنها إلا بعصمة من الله –تعالى– لا يحق لأحد أن ينسبه إلي نقص، وإن قلنا علي وجه الفرض: إن احتياج الرأي إلي رأي غيره في بعض الأمور نقص، فإذا وضعنا هذا النقص في كفة، ووضعنا الفوائد التي تحصل عليها من الاستشارة في كفة، رجحت هذه الفوائد، وغطت علي ذلك النقص، حتي كأنه ذهب، ولم يبق له عين ولا أثر[١].

(١) أسرار التنزيل، ص ٣٩٣، ٣٩٤

المطلب الثالث: الأخلاق.

القرآن الكريم كما اشتمل علي العقيدة، وعلي التشريع، اشتمل كذلك علي الأخلاق الإنسانية. ولأهمية الأخلاق في نظر القرآن اعتبرها ثمرة أساسية للعبارات المفروضة مثل الصلاة، كما في قوله تعالى: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[1]، ومثل الزكاة، كما في قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2]، والإمام الخضر حسين في تفسيره ذكر بعض الهدايات القرآنية في آيات الأخلاق، أو محاربة رذائل الأخلاق.

أولاً: محاسن الأخلاق.

١-**خلق العفو،** يقول عند قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3]، **والعفو:** ترك المؤاخذة علي الذنب[4]. والصفح: ترك التأنيب عنه، مأخوذ من الإعراض بصفحة العنق[5]. والأمر في قوله تعالى: " بأمره" الإذن

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٥
(٢) سورة التوبة: الآية ١٠٣
(٣) سورة البقرة: الآية ١٠٩
(٤) يقول ابن فارس: العين والفاء والحرف المعتل، أصلان يدل أحدهما علي ترك الشيء، والآخر علي طلبه، ثم يرجع إليه فروع كثيرة لا تتفاوت في المعني، فالأول: العفو: عَفْوُ الله -تعالى- عن خلقه وذلك تركه إياهم فلا يعاقبهم فضلاً منه. **ينظر:** مقاييس اللغة، (٥٦/٤) مادة، عفو.
(٥) جاء في معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، ص ٣٦٢، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٢ه. العفو والصفح هما بمعنى في اللغة، وقال الراغب: الصفح: ترك التثريب، وهو أبلغ من العفو، وقد يعفوا الإنسان ولا يصفح، وقال البيضوي: العفو: ترك عقوبة المذنب، والصفح: ترك لومه، قلت: ويدل عليه قوله تعالى: " فاعفوا واصفحوا ".

للمسلمين بالقتال عندما يكون لهم قوة يتمكنون بها من جهاد عدوهم. ومعني الجملة: قابلوا أولئك اليهود بوجه العفو؛ بأن لا تتعرضوا لمجازاتهم علي ما يظهر من آثار ذلك التمني والحسد في قول أو فعل، وأظهروا أنكم لم تطلعوا علي شيء من مكرهم حتي يأذن الله لكم بقتالهم، ودفع شرهم بقوة السلاح. وسمى ترك عقوبة المسلمين للكافرين عفواً، مع ضعف المسلمين، وما كان للكفار وقتئذ من شوكة، والعفو إنما يكون عند القدرة؛ للتنبيه علي أن أصحاب الحق الذين هم تحت رعاية الله وتأييده في حكم الأقوياء[١]، فترك هؤلاء المحققين للقيام في وجوه أولئك المبطلين اتقاء لضرر أكبر، يصح أن يسمى عفواً[٢].

ويقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[٣]، قوله: " فاعف عنهم" العفو: عدم المؤاخذة علي الإساءة مع القدرة علي المؤاخذة عليها، والحلم: ضبط النفس في هيجان الغضب[٤]، وإذا قيل: إن العفو والحلم متقارباً المعنى، فلأن عدم المؤاخذة علي الإساءة المسمى عفواً إنما يعد في مكارم الأخلاق متي صار طبيعة للنفس، وإذا صار طبيعة لها، سهل ضبطها عن هيجان

(١) يقول الإمام محمد عبده: وفي إنزال المؤمنين علي ضعفهم منزلة الأقوياء، ووضع أهل الكتاب علي كثرتهم موضع الضعفاء؛ إيذان بأن أهل الحق هم المؤيدون بالعناية الإلهية، وأن العزة لهم ما ثبتوا علي حقهم، ومهما يتصارع الحق والباطل فإن الحق هو الذي يصرع الباطل، وإنما بقاء الباطل في غفلة أهل الحق عنه. **ينظر:** تفسير المنار، (٣٤٧/١).

(٢) أسرار التنزيل، ص ٢٠٠، ٢٠١

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩

(٤) يقول ابن فارس: الحاء واللام والميم أصول ثلاثة: الأول: ترك العجلة، والثاني: تثقب الشيء، والثالث: رؤية الشيء في المنام... فالأول: الحِلم: خلاف الطيش... **ينظر:** مقاييس اللغة (٩٣/٢) مادة حلم.

الغضب، وكذلك ضبط النفس عن هيجان الغضب يعد في مكارم الأخلاق بالنظر لما يتبعه من عدم المؤاخذة علي الإساءة، فأمر الرجل بأحد الوصفين: العفو والحلم، أو مدحه به، يغني في نظر علماء الأخلاق عن أمره أو مدحه بالآخر.

والعفو الخالص: أن لا يؤاخذ الرجل بالإساءة، ولا يبقي له في نفسه أثر من غيظ، حتي يكون حاله في معاملة المسيء، وحبه له الخير، كحاله لو لم يسيء إليه.

أُمر –عليه الصلاة والسلام– بالعفو، وإنما يعفو فيما يختص به من الحقوق؛ كأن يؤذيه شخص في مال، أو يسيء إليه بكلمة جافية لا تبلغ حد الكفر، وأما الإساءة فيما هو حق الله؛ كترك الصلاة أو الصيام، أو شرب الخمر، فلا يملك عنه إلا الله، قالت عائشة –رضي الله عنها– فيما روي في الصحيح: " ما رأيت رسول الله (ﷺ) منتصراً من مظلمة ظلمها قط، ما لم تكن حرمة من محارم الله"[1]، وكان(ﷺ) المثال الأكمل في هذا الخلق العظيم، وشواهد هذا ثابتة في كتب السيرة والحديث[2].

(١) رواه ابن عبد البر في الاستذكار، في كتاب: حسن الخلق، باب: ما جاء في حسن الخلق، بلفظ عن عائشة قالت: ما رأيت رسول الله (ﷺ)منتصراً من مظلمة ظُلمها قط، ما لم ينتهك من محارم الله شيء، فإذا انتهك من محارم الله شيء كان أشدهم في ذلك غضباً، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً"

(٢) أسرار التنزيل، ص ٣٩١، ٣٩٢، ولعل من أشهر الأمثلة الدالة علي هذا الخلق العظيم، هو عنوان النبي (ﷺ) عن أهل مكة المكرمة، لقد اضطهدوه منذ البعثة وهو في الأربعين، واستمر آذاهم غير مقطوع، حتي ذرف الستين، لا يكفون عن إيذائه، ثم قتاله، ثم الدس الخبيث له ولرجاله، فلما غلب وتغلب بعد أكثر من عشرين سنة، لم يقل: ويل للمغلوب، كما يقول ساسة هذا الزمان، بل قال: مرحباً بالأخوة... فقال لقريش وهم يقفون ينتظرون كلمته فيهم: " يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟ قال: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لأخوته: " لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم " اذهبوا فأنتم الطلقاء" **ينظر:** خاتم النبيين (ﷺ)، لمحمد أحمد مصطفى المعروف بأبي زهرة (٨٩٣/٣) طبعة دار الفكر العربي – ١٤٢٥ه.

٢- **خلق الصبر**، يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾[١]، قوله: " واستعينوا بالصبر والصلاة": أمر الله بني إسرائيل فيما سلف من للآيات بالإيمان، وإقامة الشرائع، ومخالفة الأهواء الداعية إلي كتم الحق وخلطه بالباطل، ولما كان فيما أمرهم به مشاق لا يحتملها كل أحد بسهولة، أرشدهم في هذه الآية إلي ما يقوي عزائمهم، ويخفف عنهم أعباء تلك التكاليف، فقال تعالى: " واستعينوا بالصبر والصلاة"[٢].

الاستعانة: طلب المعونة[٣]. والصبر: حبس النفس علي ما تكره[٤]، وكفها عن أهوائها، فيقال: صبر علي الطاعة؛ أي: حبس نفسه عليها متحملاً ما يلاقيه في أدائها من مشاق، وصبر عن المعصية؛ أي: كف نفسه عما تنزع إليه من شهوات جامحة.

ووجه كون الصبر معيناً علي تلقي الأوامر بحسن الطاعة، هو أنه يتربى بالنظر في عواقب الأمور. ومن رسخت قدمه في هذا الشأن، وأصبح يقيس الأعمال بعواقبها، وما يترتب عليها من آثار يحمدها، تضاءلت أمامه المصاعب[٥]، ولم يقف به عن العمل ما يلاقيه

---

(١) سورة البقرة: الآية ٤٥

(٢) يقول الألوسي في تفسيره (٣٤٨/١) مبيناً مناسبة هذه الآية لما قبلها: لما أمرهم سبحانه بترك الضلال والإضلال والتزام الشرائع، وكان ذلك شاقاً عليهم، أمرهم بالصبر، والصبر حبس النفس علي ما تكره.

(٣) جاء في تاج العروس (٤٣٠/٣٥) مادة: عون: استعنت به فأعانني.

(٤) **ينظر:** الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، (٣٦٩/٣) مادة: صبر، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٩٠م.

(٥) يقول الإمام محمد عبده: الاستعانة بالصبر تكون بالالتفات إلي الأسباب التي تأفك الناس وتصرفهم عن الشريعة كاتباع الشهوات، والولوع باللذات، والبعد عن المؤلمات، ثم القياس بينها وبين ما رغب الله فيه، أو أوعد بالعقاب علي فعله، بملاحظة أن ما أوعد الله –تعالى- به أولى أن يتقى، وما وعد به أولى بأن يرجى ويطلب. ينظر: تفسير المنار، (٣٤٨/١)

في سبيله من مشقة[1].

ويقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[2]، ومعنى الآية: ولنصيبنكم بشيء من الخوف...إلخ، لنرتب علي الصبر والثبات علي الطاعة والثواب، ونرتب علي الجزع وعدم التسليم لأمري العقاب[3].

ومجرد الحزن عند نزول المصيبة معفو عنه، وإنما يؤاخذ الإنسان علي جزع يفض به إلي إنكار حكمة الله –تعالى– فيما نزل به من البأساء أو الضراء، أو إلي فعل ما حرمه الشارع، من نحو النباحة، وشق الجيوب، ولطم الخدود[4].

" وبشر الصابرين" هذه البشارة موجهة إلي الذين يتلقون المصيبة بسكينة، وتسليم لقضاء الله –تعالى– لأول حلولها، يشير إلي هذا قوله تعالى: " إذا أصابتهم مصيبة" فإنه يدل علي أنهم يقولون ذلك وقت

---

(١) أسرار التنزيل، ص ٨٨، ٨٩

(٢) سورة البقرة: الآيات ١٥٥: ١٥٧

(٣) وهذا الابتلاء بسيط، كلمة " شيء" جيء بها تهويناً للخبر المفجع، وإشارة إلي الفرق بين هذا الابتلاء، وبين الجوع والخوف اللذين سلطهما الله –تعالى– علي بعض الأمم عقوبة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل:١١٢]، ولذلك جيء هنا بكلمة " شيء"، وجاء هنالك بما يدل علي الملابسة والتمكن. **ينظر:** التحرير والتنوير (١٣٤/٢)

(٤) كما في حديث مسروق عن عبد الله –رضي الله عنه– قال: قال النبي(ﷺ): " ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية" أخرجه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: ليس منا من شق الجيوب.

الإصابة[١]، ويصرح بهذا قوله (ﷺ)، فيما ورد في الصحيح: " الصبر عند الصدمة الأولى"[٢]، ومعنى " إنا لله " إنا لله ملكاً وعبودية، والمالك يتصرف في ملكه ويقلبه من حال إلي حال كيف يشاء. ومن ربط نفسه بعقيدة أنه مِلْكٌ وعبد لرب حكيم، وجدها متهيئة للصبر عند كل مصيبة تفاجئه... [٣]، ومعنى " إنا لله وإنا إليه راجعون": إنا صائرون إليه يوم القيامة فيجازينا علي ما دعانا إليه من الصبر والتسليم إلي قضائه عند نزول المصائب التي ليس في استطاعتنا دفعها، " أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة" الصلوات: جمع صلاة، وصلاة الله علي عباده: إقباله عليهم بالعطف[٤]. وجمعت مراعاة لكثرة ما يترتب عليها من أنواع الخير في الدنيا والآخرة[٥]، وعطف عليها الرحمة، ليدل علي أن بعد ذلك الإقبال إنعاماً واسعاً، والمقام في الآية يذهب بذهن السامع إلي كثرة الإنعام المرتب علي الصبر الجميع.

---

(١) **ينظر:** تفسير الألوسي، (٢٤/٢)

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: الصبر عند الصدمة الأولي. ومسلم في كتاب الجنائز، باب: في الصبر علي المصيبة عند الصدمة الأولى.

(٣) قالوا هذا القول معبرين به عن حالهم ومقتضى إيمانهم، وليس المراد بالقول مجرد النطق بهذه الكلمة، بدون الشعور بمعناها والتحقق في الإيمان بأنهم من خلق الله، وملك الله وإلي الله يرجعون، فهو الذي بيده ملكوت كل شيء، بحيث ينطق اللسان بالكلمة بدافع الشعور بهذا المعنى وتمكنه من النفس، فأصحاب هذا الاعتقاد والشعور، هم الجديرون بالصبر إيماناً وتسليماً، بحيث لا يملك الجزع نفوسهم، ولا يُقعِدُ المصائب هممهم، بل تزيدهم ثباتاً ومثابرة، فيكونوا هم الفائزين... **ينظر:** تفسير المنار، (٣٣/٢).

(٤) يقول القرطبي في تفسيره (١٧٧/٢): وصلاة الله علي عبده: عفوه ورحمته وبركته وتشريفه إياه في الدنيا والآخرة، وقال الزجاج: الصلاة من الله –عز وجل- الغفران والثناء الحسن، ومن هذا: الصلاة علي الميت، إنما هو الثناء عليه والدعاء له.

(٥) وقيل للإيذان بأن المراد صلاة بعد صلاة علي حد التثنية في لبيك وسعديك. **ينظر:** تفسير الألوسي (٣٤/٢)

" وأولئك هم المهتدون" فهم الذين اهتدوا لطريق الصواب بالتسليم وقت صدمة المصيبة، دون غيرهم ممن جزعوا عند صدمتها(١)، حتي صدر منهم ما لم يأذن به الله(٢).

٣- **خلق اللين**، يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(٣)، دلت الآية علي أن لينه(ﷺ) لمن خالفوا أمره، وتولوا عن موقع القتال، إنما كان برحمة من الله. فالله حقيق بحمد النبي(ﷺ) إذ وفقه لفضيلة الرفق بأولئك المؤمنين، وحقيق بحمد أولئك المؤمنين، إذ كان لين رسول الله إنما هو أثر من أثر رحمة الله(٤).

قوله: " ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك": الفظاظة: الخشونة(٥). وغلظ القلب: قسوته(٦). والانفضاض:

---

(١) كما تدل عليه الجملة الإسمية المعرفة الطرفين المؤكدة بضمير الفصل.. **ينظر:** تفسير المنار، (٣٤/٢)

(٢) أسرار التنزيل، ص ٢٨٠، ٢٨١

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩

(٤) يقول ابن عاشور: ولما كان عفو الله عنهم يعرف في معاملة الرسول إياهم ، ألان الله لهم الرسول تحقيقا لرحمته وعفوه ، فكان المعنى : ولقد عفا الله عنهم برحمته فَلَانَ لهم الرسول بإذن الله وتكوينه إياه راحما ،قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧]،وتقديم المجرور مفيد للحصر الإضافي ، أي: برحمة من الله لا بغير ذلك من أحوالهم ، وهذا القصر مفيد التعريض بأن أحوالهم كانت مستوجبة الغلظ عليهم ، ولكن الله ألان خلق رسوله رحمة بهم ، لحكمة علمها الله في سياسة هذه الأمة . **ينظر:** التحرير والتنوير (٢٦٥/٣)

(٥)**ينظر:** النهاية في غريب الحديث والأثر، لمبارك محمد ابن الأثير (٨٨٦/٣) باب الفاء مع الظاء.

(٦)**ينظر:** مقاييس اللغة، لابن فارس (٧٣/٥) مادة: قسى.

الانصراف[١]، والمعنى: لو كنت خشناً في قولك أو فعلك، قاسي القلب، لانصرفوا من مجلسك، ولما استضاءوا بنور هدايتك، والفعل الواقع بعد (لو) الشرطية في حكم المنفي، فقوله تعالى: " ولو كنت فظاً" ينفي عنه(ﷺ) الفظاظة التي تظهر في قول أو فعل، وقوله: " غليظ القلب" ينفي عنه سبب الفظاظة الذي هو جفاء الطبع، وبهذا يثبت له (ﷺ) لين الجانب، وسماحة الخلق، وكأن الآية تقول: هو لين في قوله وفعله، وإن لينه هذا لم يصدر عن أمر عارض من نحو رغبة أو رهبة، بل كان عن طبيعة كريمة في النفس.

وليعتبر في هذه الآية من يتولى أمراً يستدعي أن يكون بجانبه أصحاب يظاهرونه عليه، حتي يعلم يقيناً أن قوة الذكاء وغزارة العلم وسعة الحياة وعظم الثروة، لا تكسبه أنصاراً مخلصين، ولا تجمع عليه من فضلاء الناس من يثق بصحبتهم إلا أن يكون صاحب خلق كريم من اللين والصفح والاحتمال.

وطبيعة اللين وسماحة الخلق، لا تنافي مزية الحزم، والأخذ بالتي هي أشد عندما يقتضي الحال ذلك:

إذا قيل رفقاً قال للحلم موضع وحلم الفتى في غير موضعه جهل[٢]

وتمييز موضع اللين من موضع الشدة يرجع إلي ذكاء الإنسان، وإدراكه لطبائع الأشخاص الذين ينالونه بمكره[٣].

---

(١)**ينظر:** المخصص، لابن سيده (٤٥١/٣)

(٢) البيت لأبي الطيب المتنبي. ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، لتقي الدين أبي بكر بن عبد الله الحموي (١٩٨/١) الناشر: دار مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

(٣) أسرار التنزيل، ص ٣٩٠، ٣٩١

٤- **خلق تعظيم أمر الدين،** يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[١]، قوله " قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين"، أي: ألتجيء[٢] إلي الله من أن أكون في زمرة الجاهلين، ونبهت الآية علي أن الاستهزاء بأمر من أمور الدين جهل كبير، ومن الجهل ما يلقي صاحبه في أسوأ العواقب، ويقذف به في عذاب الحريق، ومن هنا منع المحققون من أهل العلم استعمال الآيات كأمثال يضربونها في مقام المزح والهزل، وقالوا: إنما أنزل القرآن ليتلى بتدبر وخشوع، وقصد إلي المحافظة علي العمل به[٣].

٥- **خلق الثبات علي الدين،** يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٤]، قوله: " فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون" تفيد هذه الجملة بحسب وضعها الأصلي. النهي عن تمني الموت في حال غير حال الإسلام، وليس الموت في استطاعة إنسان حتى ينهى عنه، أو يؤمر به، وإنما النهي في المعنى متوجه إلي أن يكون المخاطبون في حال لو جاءهم الموت وهم متلبسون به، لوقعوا في خسران مبين، فنهيهم عن الموت في حال غير حال[٥] الإسلام يراد منه: الأمر بالثبات علي الإسلام إلي حين

---

(١) سورة البقرة: الآية ٦٧

(٢) يقول ابن فارس في المقاييس (١٥٠/٤) العين والواو والذال أصل صحيح يدل علي معنى واحد، وهو الالتجاء إلي الشيء، ثم يحمل عليه كل شيء لصق به أو لازمه، تقول: أعوذ بالله –جل ثناؤه–، أي: ألجأ إليه تبارك وتعالى، عَوْذاً أو عياذاً.

(٣) أسرار التنزيل، ص ١٢٨

(٤) سورة البقرة: الآية ١٣٢

(٥) يقصد النهي عن مفارقة الإسلام أعنى ملة إبراهيم في جميع أوقات حياتهم ، وذلك كناية عن ملازمته مدة الحياة لأن الحي لا يدري متى يأتيه الموت فنهي أحد عن أن يموت غير مسلم أمر بالاتصاف بالإسلام في جميع أوقات الحياة فالمراد من مثل هذا النهي شدة الحرص على تلك المنهي .**ينظر:** التحرير والتنوير، (٦٦/٢)

الوفاة، والمعنى: اثبتوا علي الإسلام واستقيموا علي محجته البيضاء، حتي يدرككم الموت وأنتم في حال كونكم مسلمين، وكما ينهي عن الموت في حالة: والمراد: النهي عن التلبس بتلك الحالة ويؤمر بالموت في حالة، والمراد الحث علي التلبس بتلك الحالة، كما يقال: مت وأنت شهيد، والمراد: الحث علي الاستشهاد في سبيل الله، ومن هذا القبيل، قول المتنبي[١]:

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم[٢] بين طعن القنا وخفق البنود[٣]

- **ثانياً: رذائل الأخلاق:**

١- **الرشوة،** يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[٤]، قوله تعالى: " ثمناً قليلا"، والثمن: عرض الدنيا وكل عرض يؤخذ في مقابلة وضع الحق مكان الباطل فهو قليل..."[٥].

وقوله " وويل لهم مما يكسبون": الكسب: اجتلاب النفع أو الضر، وهو المراد من الآية وهذا وعيد علي أخذهم الأموال من الأتباع المقلدين لهم

(١) هو أبو الطيب أحمد بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي المعروف بالمتنبي، الشاعر. ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ه، وأكثر من المقام بالبادية، وقال الشعر من صغره، حتي بلغ الغاية وفاق أهل عصره، وصار شعره في الدنيا، توفي سنة ٣٥٤ه. **ينظر:** وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابي العباس شمس الدين محمد بن خلكان، (١٣٠/١) طبعة دار صادر، بيروت.

(٢) البيت في خزانة الأدب للحموي، (١٩٧/١)

(٣) أسرار التنزيل، ص ٢٤٢

(٤) سورة البقرة: الآية ٧٩

(٥) يقصد كل ما يباع بها لحق ويترك لأجله فهو قليل ؛ لأن الحق أثمن الأشياء وأغلاها ، وأرفعها وأعلاها. **ينظر:** تفسير المنار، (٢٩٩/١)، وقيل: وصف الله تعالى ما يأخذونه بالقلة إما لفنائه وعدم ثباته، وإما لكونه حراماً؛ لأن الحرام لا بركة فيه ولا يربوا عند الله... **ينظر:** تفسير القرطبي (١٠/٢)

بغير حق، والآية تدل علي تحريم أخذ المال بالباطل، كالرشوة وإن أخذها برضى المعطي[1].

ويقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[2]، قوله: " لا تأكلوا ": لا تأخذوا، والمعنى: لا يأخذ بعضكم مال بعض، ويستولي عليه بغير حق، وعبر عن الأخذ بالأكل؛ لأن الأكل أهم وسائل الحياة وفيه تصرف الأموال غالباً[3]، وهذه الآية أصل من الأصول التي يقوم عليها إصلاح المعاملات، وقد دلت علي حرمة أكل أموال الناس بالباطل علي وجه الإجمال...[4].

ومن المحتمل القريب أن يفهم من نظم الآية: تحريم إعطاء مال للحاكم علي وجه الرشوة، والمعنى: لا تدلوا بأموالكم، أي بعضها إلي الحكام لتتوصلوا بأحكامكم الجائرة إلي أكل فريق من أموال الناس بغير حق، ولا غرابة في أن معنى القرآن الكريم في سياسته الرشيدة بالتحذير من جريمة الرشوة، فإنها المعول الذي يهدم صرح العدل من أساسه، وبها تفقد مجالس القضاء حرمتها، ولا يبقي للجالسين علي كراسيها كرامة،

(١) وزاد في فتح القدير أن تدل علي النهي عن المعاصي عموماً... **ينظر:** فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية للشوكاني، (٣٦٤/١)

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٨

(٣)ليس المراد منها لأكل خاصة؛ لأن غير الأكل من التصرفات؛ كالأكل في هذا الباب، لكنه لما كان المقصود الأعظم من المال، إنما هو الأكل، وصار العرف في من أنفق ماله، أن يقالك: أكله؛ فلهذا عبر عنه بالأكل. ينظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل (٣٢٣/٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩ه، ١٩٩٨م.

(٤) يقول أبو حيان: والآية تدل علي تحريم ما أخذ من مال الناس بالإثم، وأن حكم الحاكم لا يبيح للخصم أن يأخذ ما يعلم أنه حرام عليه. **ينظر:** البحر المحيط (٦٤/٢)

وللرشوة شبه بالسرقة[١]؛ لأنها تؤخذ من يد مالكها خفية، وشبه بالغضب لأنها تؤخذ من تحت سلطان القضاء.

٢- **الحسد**، يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[٢]، البغي: الحسد والظلم، وقال بعض علماء اللغة: البغي: أصله الحسد، ثم سمي الظلم بغيا؛ لأن الحاسد يظلم المحسود بابتغائه إزالة النعمة عنه[٣]، والمحسود هو النبي(ﷺ)، فقد حسدوه علي النبوة لما لم يكن من بني إسرائيل، وكان من العرب ولد إسماعيل، ولم يذكره في الآية علي وجه التعيين، لعلمه من مساق النظم[٤]، وللتنبيه علي أن الحسد في ذاته منكر مذموم كيفما كان حال

---

(١) يقول الطاهر بن عاشور: فالآية دلت على تحريم أكل الأموال بالباطل، وعلى تحريم إرشاء الحكام لأكل الأموال بالباطل، وعلى انقضاء القاضي لا يغير صفة أكل المال بالباطل، وعلى تحريم الجور في الحكم بالباطل ولو بدون إرشاء، لأن تحريم الرشوة إنما كان لما فيه من تغيير الحق، ولا جرم أنها تهال أشياء من أهم ما تصدى الإسلام لتأسيسه تغييرا لما كانوا عليه في الجاهلية فإنهم كانوا يستحلون أموال الذين لم يستطيعوا منع أموالهم من الأكل فكانوا يأكلون أموال الضعفاء. **ينظر:** التحرير والتنوير، (١٩٢/٢)

(٢) سورة البقرة: الآية ٩٠

(٣) جاء في اللسان (٧٥/١٤) مادة: بغا: والبغي: أصله الحسد، ثم سمي الظلم بغياً؛ لأن الحاسد يظلم المحسود، جهده إراغة زوال نعمة الله عليه منه. **ينظر:** تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن عبد الرازق الزبيدي، (١٨٩/٢٧) طبعة دار الهداية.

(٤) ذهب إلي هذا الإمام الطبري حيث قال: وهذه الآية وما أخبر الله فيها عن حسد اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وقومه من العرب ، من أجل أن الله جعل النبوة والحكمة فيهم دون اليهود من بني إسرائيل، حتى دعاهم ذلك إلى الكفر به، مع علم هم بصدقه ، وأنه نبي لله مبعوث ورسول مرسل ، نظيره الآية الأخرى في سورة النساء، وذلك قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾[النساء: ٥١: ٥٤]. **ينظر:** تفسير الطبري (٣٤٣/٣)

المحسود، وقال: " علي من يشاء من عباده"، ليكون[١] أظهر دلالة علي أن في الحسد عدم الرضا بما يختاره الله لبعض عباده من خير[٢].

٣- العناد، يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[٣]، هذه الآية إراحة له من التطلع إلي اهتداء أولئك الذين يعرفون الحق من اليهود والنصارى ولا يتبعونه، والمعنى: لا تنتظر يا محمد من أولئك اليهود أو النصارى أن يتبعوا قبلتك التي هي الكعبة، ولو جئتهم بكل آية علي أن التوجه إليها هو الحق من ربهم[٤]؛ لأن إعراضهم لم يكن عن شبه، فتزول إذا حضرت الحجة، بل هو إعراض عن عناد، وما أضيع البرهان عند المعاند! والعناد يقع لغلبة هوى في النفس، من حب دنيا أو جاه أو نحو ذلك[٥].

ويقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٦]، قوله: " إلا الذين ظلموا ": هم المعاندون من فريقي اليهود والمشركين[٧]، فلاستيلاء الأهواء علي قلوبهم لا يرجعون في تمييز الرشد من الضلال

(١) **ينظر:** تفسير الألوسي (٣٢٣/١)
(٢) أسرار التنزيل، ص ١٦٥
(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٤
(٤) **ينظر:** تفسير أبي السعود (١٧٥/١)، وتفسير الألوسي (١١/٢)
(٥) أسرار التنزيل، ص ٢٦٦
(٦) سورة البقرة: الآية ١٥٠
(٧) **ينظر:** تفسير الطبري (٣٠٠/٢)

إلي الأدلة، ولا يرجى من الشبه التي تعلق بأذهانهم، أو تجري علي ألسنتهم
أن تذهب عند حضور الحجة الساطعة علي بطلانها[١].

٤- **اتباع الهوى**، يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[٢]، الأهواء: جمع هوى، وهو في الأصل: ميل النفس إلي ما تلذه من خير وشر[٣]، ومن استعماله في الخير قول عائشة –رضي الله عنها– للنبي(ﷺ): " ما أري ربك إلا يسارع في هواك"[٤]، أي: رضاك. وكثر استعمال الهوى في ميل النفس المذموم، ويدخل في هذا القبيل: كل هوى ينشأ عنه رأي أو قول لا يوافق العلم الصحيح، وأهواء أهل الكتاب التي نهى النبي(ﷺ) عن اتباعها: آراؤهم وأقوالهم الصادرة عن الهوى...[٥].

---

(١) أسرار التنزيل، ص ٢٧٣
(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٠
(٣) جاء في لسان العرب (٣٧١/١٥) مادة هوا: هوى: ما أحب، ومتى تكلم بالهوى مطلقاً لم يكن إلا مذموماً، حتى يُنْعت بما يُخْرِج معناه، كقولهم: هوى حسن، وهوى موافق للصواب.
(٤) جزء من حديث تمامه: عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: كنت أغار علي اللاتي وهبن وهبن أنفسهن لرسول الله(ﷺ)، وأقول: أتهب المرأة نفسها، فلما أنزل الله تعالى: ﴿ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥١]، قلت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك. أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: سورة الأحزاب. يقول الحافظ ابن حجر: وهذا الحديث مما جاء استعمال الهوى فيه بمعنى المحبة المحمودة... **ينظر:** جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص ٢٣٤، دار المعرفة، بيروت.
(٥) أسرار التنزيل، ص ٣٧٦

وفي توجيه الخطاب للنبي(ﷺ) إشعار بأنه –وهو صاحب تلك المكانة العليا، والأعمال الصالحة التي تملأ ليله ونهاره – لو اتبع أهواء اليهود والنصارى، لفقد الولاية والنصر من الله –تعالى–، فغيره من الناس أحرى بأن يجازى بالحرمان من تلك النعمتين العظيمتين[١]. إذا تعلق بآراء المخالفين دون ما قضى به الله، ومن فاتته ولاية الله وتأييده، عاش في الدنيا مضطرب القلب منكود الحياة، وإذا قضى نحبه فإلي هوان وعذاب[٢].

٥- **شؤم المعاصي**، يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[٣]، الفتنة في أصل وضعها: الامتحان والاختيار[٤]، ووردت بمعنى الكفر، والضلال، والمعصية، والعذاب[٥]، ويصح أن تفسر في الآية بالمعصية، وإصابتها للظالمين وغيرهم، بمعنى إصابة أثرها لهم علي تجره في الدنيا من شقاء وعذاب[٦].

---

(١) يقول الإمام محمد عبده: من تدبر هذا الإنذار الشديد الموجه من الله تعالى إلي نبي الرحمة المؤيد بالكرامة، علم أن المراد به الوعيد والتشديد علي الأمة، علي حد (إياك أعني واسمعي يا جارة)... **ينظر:** تفسير المنار (٣٦٦/١)

(٢) أسرار التنزيل، ص ٣٧٦

(٣) سورة الأنفال: الآية ٢٥

(٤) جاء في لسان العرب (٣١٧/١٣) مادة: فتن: معنى الفتنة: الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنة الفضة والذهب، إذا أذبتها بالنار لتميز الرديء من الجيد.

(٥) يقول أبو حيان: الفتنة هنا: الضلالة: أو عدم إنكار المنكر، أو بالأموال والأولاد، أو بظهور البدع، أو العقوبة، أقوال... **ينظر:** تفسير أبي حيان (٣٩٣/٤)

(٦) وهذا يوضحه حديث زينب بنت جحش ، رضي الله عنها أنا لنبي (ﷺ)، دخل عليها فزع اي قول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتحالي وممن ردم يأجوجو مأجوج مثل هذه» وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قال تزين ببنت جحش فقلت يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث». رواه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قصة يأجوج ومأجوج.
وحديث النعمان بن بشير رضي الله عنه ، عن النبي (ﷺ) قال: " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا : لو أن اخر قنا في نصيبنا خرق اولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعا ". رواه البخاري في كتاب: الشركة، باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه.

والفتنة التي يعم وبالها مرتكبيها وغيرهم: ما كان من نحو إقرار المنكر، وتفرق الكلمة، وإهمال التعليم الديني، والقعود عن دفاع العدو، فإن شؤم عاقبة هذه المعاصي لا يخص الذين ظلموا وهم المقرون للمنكر، والعاملون لانفصام عرى الاتحاد، والمهملون للتربية الدينية، والقاعدون عن الجهاد تكاسلاً، بل يتعداهم إلي غيرهم من نحو الأطفال، والمستضعفين من الرجال والنساء، وهذه المعاصي تسقط الأمم من عليائها.

٦- **كتمان العلم**، يقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[١]، قوله: " إن الذين يكتمون ما أنزل الله": إخبار علي وجه التوبيخ والوعيد لمن يكتم شيئاً مما أنزل الله، فيخفيه عن السؤال عنه، أو عند الحاجة إليه[٢]، أو يزيله، ويضع شيئاً آخر مكانه، أو يتأوله علي ما يوافق بعض الأهواء يفعل ذلك لدنيا يصيبها، وهي الثمن الذي اشتراه، أي: استبدله بكتمان ما أنزل الله، ووصف هذا الثمن بالقلة؛ لأن كل يؤخذ في مقابلة إخفاء شيء مما أنزل الله فهو قليل[٣].

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٤

(٢) ذكر أبو حيان في تفسيره (٤٣٩/١) رواية عن ابن عباس –رضي الله عنه-: أن الآية نزلت في علماء اليهود، كانوا يصيبون من سفلتهم هدايا، وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم، فلما بعث من غيرهم غيروا صفته، وقالوا: هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان، حتى لا يتبعوه، وروى عنه ابن عباس، أنه قال: إن الملوك سألوا علماءهم قبل المبعث ما تجدون في التوراة؟ فقالوا: نجد أن الله يبعث نبياً من بعد المسيح، يقال له محمد، بتحريم الربا، والخمر، والملاهي، وسفك الدماء، فلما بعث قالت الملوك لليهود: هل هذا الذي تجدونه في كتابكم؟ فقالوا: طمعاً في أموال اليهود – ليس هذا بذاك النبي- فأعطاهم الملوك الأموال، فأنزلت إكذاباً لهم... واختار أبو حيان أنها نزلت في كل كاتم حق، لأخذ غرض أو إقامة غرض، من مؤمن، ويهودي، ومشرك، ومعطل، وإن صح سبب النزول فهي عامة، والحكم للعموم.

(٣) أسرار التنزيل، ص ٣٠٧

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة الطيبة المباركة مع الإمام الخضر حسين، وآثاره التفسيرية، فقد بان أن الرجل في تفسيره لم يكن معزولاً عن دنيا الناس، فقد تفاعل مع الحدث، وربط تفسيره بالحدث، ولم يكن يهتم بالتوسع في الأقوال التي لا طائل من ورائها، ولا تفيد المسلم في واقع حياته، ولو أراد ذلك لفعل، فقد كان واسع المعرفة، عالماً بالمذاهب المختلفة في التفسير، فقد كان يريد التفسير الذي يزكي النفوس، ويرشدها إلي وجوه الإصلاح الذي تدرك به السعادة في الدنيا والآخرة.

ويرى أن ما وراء ذلك من مباحث لا يحتاج إليها التفسير، وإنما هي مسائل ترجع إلي علوم أخرى مستقلة بنفسها.

والإمام في اتجاهه إلي إبراز وجوه الهداية التي أرشد إليها القرآن، كان له صيغ عبر بها عن تجلية هذا الجانب، وقد بلغت هذه الصيغ نحو ست عشرة صيغة، مثل: والمراد من الآية، ومأخذ العبرة، وأفادت الجملة، ومن فوائد ذكر القصة.

كما أنه اعتمد وسائل كشف واستخراج الهداية، مثل: تنوع الأساليب، والتأمل في المعنى اللغوي، والنظر في عموم الأدلة من الكتاب والسنة، والمناسبة، والسياق.

والموضوعات التي ذكر فيها الجانب الهدائي: هي موضوعات العقيدة، والشريعة، والأخلاق. والإمام في كتابته لهذا التفسير، كان –كما وصفه ابن أخيه– باشر وضع تفسير محكم لكتاب الله العزيز، ينبع من صفاء قلبه، وعلمه، وعرفانه، وهدايته، وتقواه.

نحسبه كذلك ولا نزكي علي الله أحداً.

رحم الله الإمام وغفر له وتقبله في الصالحين، وألحقنا به علي رضاه ومغفرته

اللهم آمين

الفهارس

فهرس المصادر والمراجع

١- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٢- محمد الخضر حسين، حياته وآثاره، محمد مواعدة، الدار الحسينية للكتاب، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٣- محمد الخضر حسين، سيرته، ومؤلفاته، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة – الرياض – ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م.

٤- محمد الخضر حسين، وفقه السياسة في الإسلام، محمد الجوادي، دار الكلمة للنشر والتوزيع – المنصورة ٢٠١٤م.

٥- ديوان خواطر الحياة – محمد الخضر حسين – القاهرة – ١٩٥٣م.

٦- الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية، عبدالله الطاهر، دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع، تونس.

٧- تونس وجامع الزيتونة – جمع علي الرضا الحسيني – دار النوادر، سوريا، لبنان، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

٨- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين (ت١١١١هـ) دار صادر، بيروت.

٩- الرحلات، جمع علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا، لبنان، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

١٠- السعادة العظمى، جمع علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا، لبنان، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

١١- ملتقى الإمام الخضر حسين في الجزائر، جمع علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا، لبنان، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

١٢- النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، د/ محمد رجب البيومي (ت٢٠١١م) طبعة دار القلم – دمشق، والدار الشامية – بيروت.

١٣- محمد الخضر حسين، بأقلام نخبة من أهل الفكر، طبعة دار النوادر، سوريا، لبنان، دمشق.

١٤- الهداية الإسلامية، جمع علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا، لبنان، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

١٥- أحاديث في رحاب الأزهر، جمع علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا، لبنان، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

١٦- الأزهر في ألف عام، د/ محمد عبد المنعم خفاجي، د/ علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثالثة.

١٧- أسرار التنزيل – محمد الخضر حسين – جمع علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا، لبنان، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

١٨- محمد الخضر حسين وإصلاح المجتمع في تونس، جمع علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا، لبنان، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

١٩- المفسرون، حياتهم، ومنهجهم، للسيد محمد علي أبازي، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي – مؤسسة الطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ.

٢٠- اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، محمد إبراهيم شريف – دار السلام للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.
٢١- مقاييس اللغة – أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٢٢- المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت٤٥٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
٢٣- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة – محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ) الناشر: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
٢٤- شرح المفصل للزمخشري (ت٥٣٨هـ) يعيش بن علي بن يعيش (ت٦٤٣هـ) دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
٢٥- كيف نتعامل مع القرآن العظيم، د/ يوسف القرضاوي – دار الشروق – الطبعة ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
٢٦- تفسير المنار، لمحمد عبده (ت١٩٠٥م) و رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر ١٩٩٠م.
٢٧- الأعلام لخير الدين الزركلي (ت١٣٩٦) دار العلم للملايين.
٢٨- بلاغة القرآن الكريم، للخضر حسين، مطبعة النوادر، سوريا، لبنان، الكويت.
٢٩- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) دار الجيل – بيروت.

٣٠- لسان العرب – محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)- دار صادر – بيروت – الطبعة الأولى.
٣١- التسهيل لعلوم التنزيل – محمد بن أحمد بن محمد بن جزي (ت٧٤١هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
٣٢- تفسير أبي حيان (البحر المحيط) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (ت٧٤٥هـ) دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٣٣- البرهان في علوم القرآن- محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ) تحقيق: الفضل إبراهيم – دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي – ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م.
٣٤- طبقات المفسرين، لمحمد شمس الدين الداودي (ت٩٤٥هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٥- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي – الناشر: مكتبة العلوم والحكم – السعودية – الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
٣٦- التحرير والتنوير " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد " لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤م.
٣٧- تفسير أبي السعود " إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم " أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٨- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
٣٩- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري الهروي، أبو منصور (ت٧٢٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٢٠٠١م.
٤٠- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، (ت٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
٤١- الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم طفيس، دار الكتب المصرية، القاهرة، الثانية ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.
٤٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٤٣- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت٧٤١هـ) تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٤٤- طبقات الشافعية الكبرة، تاج الدين السبكي (ت٧٧١هـ) دار النشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الثانية ١٤١٣هـ.

٤٥- تهذيب الكمال، يوسف الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي (ت٧٤٢هـ) تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.
٤٦- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبدالرازق الحسيني الملقب بالزبيدي (ت١٢٠٥هـ) الناشر: دار الهداية.
٤٧- زهرة التفاسير، أحمد محمد مصطفى (ت١٩٧٤م) دار الفكر العربي.
٤٨- إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٢٠هـ) – دار الكتاب العربي – الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
٤٩- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت٧٤٨هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
٥٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان (ت٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
٥١- البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (١٤٢٥هـ) دار القلم، دمشق، الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٥٢- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور، نصر الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، المعروف بابن الأثير، (ت٦٣٧هـ) تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، ١٣٧٥هـ.
٥٣- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ) مؤسسة الرسالة، الثالثة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٥٤- النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن الكريم، د/ محمد عبدالله دراز (١٣٧٧هـ)، دار القلم للنشر والتوزيع ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
٥٥- مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، د/ مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي – الثانية ١٤٢٧هـ.
٥٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
٥٧- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن عماد بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢٢هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	١٥
المبحث الأول: الإمام محمد الخضر حسين حياته ونشأته.	١٩
المطلب الأول: مولده ونشأته.	٢٠
المطلب الثاني: أسفاره ورحلاته ووظائفه التي تولاها.	٢٤
المطلب الثالث: مؤلفاته.	٢٩
المطلب الرابع: أخلاقه وثناء العلماء عليه.	٣٥
المطلب الخامس: وفاته.	٣٨
المبحث الثاني:معالم الجانب الهدائي في تفسير الإمام الخضر حسين.	٣٩
المطلب الأول: نتاجه في التفسير.	٤٠
المطلب الثاني: معنى الجانب الهدائي وتأصيله.	٤٤
المطلب الثالث: علاقة الجانب الهدائي بالتفسير.	٤٨
المطلب الرابع: موقف المفسرين من الجانب الهدائي.	٥٢
المطلب الخامس: صيغ الجانب الهدائي عند الخضر حسين.	٥٦
المطلب السادس: وسائل كشف واستخراج الهدايات عند الخضر حسين.	٧
المبحث الثالث: موضوعات الجانب الهدائي عند الخضر حسين.	٩١
المطلب الأول: العقيدة.	٩٣
المطلب الثاني: الشريعة.	١٠٨
المطلب الثالث: الأخلاق.	١٢٣
الخاتمة.	١٢٩
فهرس المصادر والمراجع.	١٣٠
فهرس الموضوعات.	١٤٧

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين